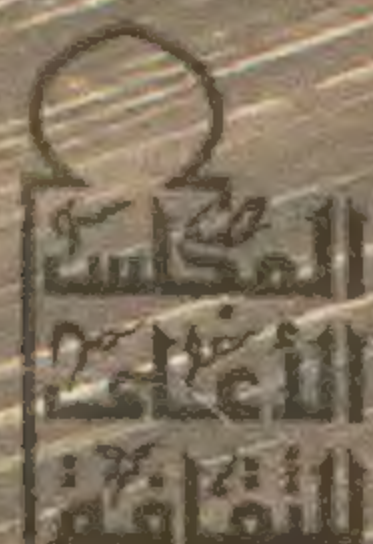


بدوى الجبل

مختارات شعرية



اختيار وتقديم
نبيل سليمان

اهداءات ٢٠٠٤
المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

بدوى الجبل

مختارات شعرية

اختيار وتقديم : نبيل سليمان



٢٠٠٢

بدوی الجبل

مقدمة

منذ تقدم القرن العشرون في نصفه الثاني، أخذت الأجيال الجديدة الشابة تندفع نحو الشعر الحديث - أو شعر التفعيلة، كما غلبت التسمية في البداية- وفيما أخذ عود هذا الشعر يستقيم ويصلب، أخذ عود الشعر الكلاسيكي يزوي ويتقصف، وقد كان موت أعلامه علامة ذلك الكبرى أو الصغرى، لا فرق.

هكذا جاء موت الشاعر السوري بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) في ١٩٨١/٨/١٨ ليرسم مفصلاً حاسماً، على الرغم من أن العمر امتد من بعده بالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري حتى أذن القرن العشرون بالأفول.

من الحق أن بعضهم - وبعضهن بدرجة أدنى بكثير - ما فتنوا يرسلون الشعر الكلاسيكي، بيد أن ذلك بات يقترن غالباً جداً بمناسبات قومية أو وطنية أو سياسية. ومن المفارقة الدالة هنا أن بعضاً ممن يرسلون الشعر الحديث، يعودون إلى الشعر الكلاسيكي، كلما تعلق الأمر بواحدة من تلك المناسبات، كموت رئيس أو زعيم أو قائد، أو تنصيب آخر، ولئن كان الجواهري قد أبقى لهذا الشعر ما يدل به، إلا أن موت بدوي الجبل كان ذلك المفصل الحاسم، فلماذا؟

* * *

سنبدأ بالجواب بما تداوله أعلام الشعراء والنقاد في شعر بدوي الجبل، منذ عشرينيات القرن العشرين حتى ثمانينياته، فالجواهري نفسه قال منذ ثلاثين سنة: "في العراق لم أحس بمنافسة أحد، لقد كنت أريد أن ألحق بالشعراء وأنا صغير، وغطيت عليهم وأنا كبير، أما في العالم العربي، فربما كان شوقي من الناحية الفنية، وليس من الناحية النفسية، أو السياسية، أو ناحية الموهبة، أما بدوي الجبل، فقد أحسست بضيق من وجوده، وحسبت له حساباً، أما عمر أبو ريشة فلم أحسب له أي حساب"، (١) ولكي ندرك مرمى الجواهري، علينا أن نسرع إلى قوله: "أكبر شاعر عُرِفَ في هذا العصر بدوي الجبل، وشاعر آخر"، وما عني الجواهري بالشاعر الآخر إلا نفسه.

أما نزار قباني الذي لم يطلق الشعر الكلاسيكي حتى رحيله، فقد قال: "بدوي الجبل: السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي، في حنجرتة ألف لييد وألف شريف رضي وألف أبي تمام.. لا تستطيع إلا أن ترفع قبعتك وتنحني باحترام أمام عبقريته"، وقد ذهب عبد الوهاب البياتي أبعد، إذ قال: "من يكتب شعراً بعد بدوي

الجبل، سنرميه بحجر". وإلى أدونيس نفسه ينسب القول بأن بدوي الجبل من شعراء القمة الكبار الذين انتهوا. وقبل ذلك بقليل أو كثير قال أمين نخلة: "بدوي الجبل أمير الشعراء وأوفى الأوفياء"، وقال سعيد عقل: "بدوي الجبل أحد قلائل الشعراء في الدنيا"، وقال بشارة الخوري (الأخطل الصغير): "بدوي الجبل علم الشعر العربي في هذا العصر"، وقال عمر أبو ريشة: "يقف (بدوي الجبل) في الصف الأول من شعراء العالم العربي"، وقال شاكر مصطفى: "هذا سيد شعراء العرب نون منازع. بدوي الجبل: إنه الحجة الوحيدة الباقية في يد المدرسة الكلاسيكية". أما محمد روجي الفيصل الذي سلق بنقده شعر البدوي، فقد قال أيضاً: "شاعر يصدر عنه الشعر كما يصدر العطر عن الورد"، ولسوى أولاء ما يضاهي قولهم في شعر البدوي، من خليل مردم وشفيق جبري وعبد القادر مبارك ومصطفى الغلايني ومحمد كرد علي ومصطفى الشهابي وجميل صدقي الزهاوي.. إلى محمد الحريري ومحمد عمران وأكرم زعيتر ونجاح العطار وسواهم.

قد يقال إن في مثل هذه الأقوال من المبالغة أو من الشخصي ما فيه، كما في نقيضها، غير أن ذلك لا ينال من دلالة إجماع هذه الأقوال على ما بلغه شعر بدوي الجبل، وهذا المبلغ هو الذي جعل موت الشاعر مفصلاً حاسماً في تاريخنا الشعري الحديث، وهو الذي دفعنا إلى إعداد هذه المنتخبات من شعره، وإلى كتابة هذه المقدمة، فلعل ذلك أن يساهم في وصل المنقطع بين الأجيال، ويعمق معنى الحلقات في السلسلة الأدبية، ويؤكد على التأصيل كي يصح التجاوز، فضلاً عن أن التخوم المتعالية في الفضاء الثقافي العربي، وغياب شعر بدوي الجبل عن كثير من هذا الفضاء، يجعلان من الضرورة بمكان، توفير مثل هذه المنتخبات - وربما مثل هذه المقدمة - والتي أبقى أقلها على قصائد كاملة، وتوزع الباقي بين الانتخاب من قصيدة، وبين توزيع ما انتخب من قصيدة بعنوانات جديدة، وبما يتوخى أن يجدد قراءة شعر بدوي الجبل، سواء في شواغله أم في أفانيه.

* * *

في قرية (ديفة) من القرى الجبلية المتناثرة قبالة الساحل السوري (مدينة اللاذقية) ولد بدوي الجبل عام ١٨٩٨، كما يبين قيده في السجل المدني، لكن الشاعر يذكر أن ذلك التاريخ هو لولادة شقيق له، توفي قبل أن يولد هو، ولم يرقن قيده من السجل المدني، فلما ولد البدوي، حمل اسم شقيقه (محمد) وتاريخ ولادته، وقد كان ذلك مألوفاً في سورية لعقود طويلة من القرن العشرين، ويؤكد الشاعر أن تاريخ ولادته هو عام ١٩٠٥، بينما

يتراوح هذا التاريخ لدى الدارسين بين ١٩٠٢ لدى عمر الدقاق ومحمد الخطيب، و ١٩٠٨ لدى سامي الكيالي وحده، و ١٩٠٤ لدى أحمد الجندي وسامي الدهان وعلي إبراهيم.

أما نشأة الشاعر فقد كانت في قرية (السلطة)، حيث انتقلت أسرته، قريباً من (القرداحة) مسقط رأس الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد. وينبغي التنويه هنا بوالد الشاعر: الشيخ سليمان الأحمد ١٨٦٨-١٩٤٢، الشاعر المتصوف الذي كان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٢٢، وله شروح على اللزوميات، وعلى ديوان المكزون السنجاري، ونظرات في ديواني أبي تمام والبحتري، ولبدوي الجبل شقيقان شاعران هما أحمد سليمان الأحمد وفاطمة التي حملت لقب (فتاة غسان) تيمناً بهند بنت جبلة الغسانية، وتوكيداً على النسب الغساني^(٢)، ومن المهم هنا أن يُشار إلى أن النسب الديني والثقافي لنشأة الشاعر، يتصل بالصوفية الجبلانية التي تعود إلى أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، أستاذ سيف الدولة الحمداني، وأستاذ المتنبي وأبي فراس الحمداني، فيما يؤكد كثيرون.

على يدي والده، كانت تربية بدوي الجبل الدينية والأدبية، وهو يصف ذلك في حوار لمنير العكش معه، فيقول: "بدأت القراءة بالقرآن الكريم، ثم قرأت على أبي رضي الله عنه، برغبة منه، الحديث الشريف، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو غاية الغايات في البيان، والإيمان، والفناء في الله، ثم قرأت على أبي بعد ذلك اللزوميات لأبي العلاء المعري، وكان معجباً بها، وله شرح على اللزوميات لم يكتب في اللغة العربية من طرازه عن أبي العلاء، ثم قرأت عليه رضي الله عنه المتنبي وأبا تمام والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي والحماسة لأبي تمام.

وكان أثناء قراعتي يفسر لي المفردات والمعاني، ويلفت نظري إلى جمال الصور، ويصحح لي كل خطأ أخطئته عند التلاوة، ولا سيما عين المضارع"^(٣)، ويضيف بدوي الجبل في هذا الحوار أنه قرأ على أبيه ديوان المكزون السنجاري عشرات المرات، وأنه يفضل على ابن الفارض، وأنه لم يتأثر بالمنتجب العاني، ولعله يكفي كي نتبين عدة بدوي الجبل ومشاربه الثقافية أن نقرأ أيضاً مما تحدث به لمجلة (الفكر) التونسية: "نشأت في بيت علم وفقه فتأثرت أول ما تأثرت بالقرآن الكريم الذي لا يمكن أن تشرق ديباجة الأديب إلا بالإدمان على تلاوته، ثم تأثرت بالحديث الشريف وبخطب الخلفاء الراشدين، ولا سيما خطب علي بن أبي طالب، كما تأثرت بخطب الحجاج وزعماء الخوارج.

أما بين الكتاب فأنا مدين للجاحظ ولأبي جعفر الإسكافي ولأبي الفرج الأصفهاني في كتابه الخالد (الأغاني) ولأبي حيان التوحيدي، كما تأثرت في الشعر بديوان الحماسة لأبي تمام، وبشعر الفحول في عهدي الجاهلية والإسلام، إلى آخر العصر الأموي، وتأثرت بأبي تمام والبحتري والمقتبي والشريف الرضي ومهيار^(٤).

والآن، ماذا عن هذا اللقب الذي حمله الشاعر، حتى لم يعد أحد يذكر اسمه؟

لقد أطلق اللقب الشيخ يوسف العيسى، صاحب جريدة (ألف باء) الدمشقية، على ذلك الفتى المجهول الذي أرسل قصيدة إلى الجريدة، فنشرتها مذيلة باللقب، وتعلل العيسى لذلك بغواية الاسم المجهول للقراء، وقد ظل الفتى ينشر قصائده بلقبه الجديد عاماً بطوله، حتى قدمه العيسى لأعضاء المجمع العلمي العربي في حفل شاي، مفشياً السر. ولئن كانت روايات اللقب تختلف ببعض التفاصيل، سواء ما سرده الشاعر نفسه أم سواه، فالثابت أن الشيخ يوسف العيسى هو من أطلق اللقب، وليس الملك فيصل ابن الحسين، كما ذكر عبد اللطيف اليونس، ولا الشاعر نفسه، كما ذكر محمد روجي الفيصل. وقد بلغ الاختلاف القصيدة المعنية نفسها^(٥).

مهما يكن من أمر فقد أسرع بدوي الجبل إلى السياسة وأسرعت إليه، وهو لم يكد يمضي في المدرسة ثلاث سنوات متفرقة بين قرية عين التينة واللاذقية ودمشق، إذ عرفه متصرف اللاذقية رشيد الطليع الذي كان صديقاً للشيخ سليمان الأحمد، واصطحب طليع الشاعر الفتى إلى دمشق، فكان أن رافق الوفد الحكومي برئاسة وزير الحربية يوسف العظمة إلى الشيخ صالح العلي، قائد الثورة التي انطلقت في جبال العلويين ضد الاستعمار الفرنسي، منذ نزوله على السباحل السوري، في ١٩١٨/١١/٥، أي قبل احتلال دمشق بزهاء السنتين.

إثر ذلك قدم يوسف العظمة - وفي مصادر أخرى: الطليع نفسه، ومن قبل - إلى الملك فيصل، وتكررت مهمة الشاعر، قبل أن يلزم الشيخ صالح العلي شهوراً، حتى كان استشهاد يوسف العظمة في معركة ميسلون الشهيرة (١٩٢٠/١٠/٢٤)، واحتلال الفرنسيين لدمشق، فصدر أمر بتوقيف بدوي الجبل الذي تخفى في دمشق في بيت البطريرك غريغوريوس حداد وسواه، ثم مضى إلى حماة، وكشف المخبرون أمره، فاعتقل وعوقب بالحفر وتكسير الأحجار قبل أن ينقل إلى سجن حمص، فسجن الديوان الحربي في بيروت حيث قضى سنة، اقتيد بعدها إلى سجن قلعة جزيرة أرواد - قبالة

مدينة طرطوس - فكان وربيع المنقاري أول من عرف هذا المعتقل من الساسة الوطنيين السوريين، وقد وشم البدوي على ذراعه ذكرى ذلك بهذه العبارة (تذكر السجن الفرنسي)، وقد أطلق سراحه بعيد ذلك عام ١٩٢٢ .

تلك هي المرحلة القصيرة المبكرة، المرحلة الوطنية الأولى من الحياة السياسية لبدوي الجبل، والتي ستعقبها مرحلة التعاون مع الفرنسيين حتى نهاية عام ١٩٣٦، لظلي المرحلة الثالثة التي عاد فيها إلى صفوف الحركة الوطنية إلى أن جلا الاستعمار عن سورية، وتابع الشاعر حياته السياسية في صفوف الرعيل الذي أنجز الاستقلال وحكم زمنًا قبل أن تقطعه الانقلابات العسكرية، وترثه الجمهورية العربية المتحدة (الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨-١٩٦١)، وكانت الحياة السياسية لبدوي الجبل قد انتهت قبيل ذلك.

لقد أعلن الاستعمار الفرنسي في تقسيمه لسورية (مقاطعة أراضى العلويين)، وعاصمتها اللاذقية، في ٣١/٨/١٩٢٠، ثم جعل من هذه المقاطعة (بولة العلويين المستقلة) تحت وصايته في ١٢/٧/١٩٢٢، أما بدوي الجبل، فقد انتُخب في ٢٥/٤/١٩٣٠ عضواً في المجلس التمثيلي (البرلمان) لبولة العلويين، وكذلك في انتخابات ٩/٤/١٩٣٥، وقد جرّ عليه ذلك هجاء بعضهم، وبخاصة إثر توقيع سورية وفرنسا لمعاهدة ١٩٣٦، ومطالبة قلة بتكريس الانفصال، بينما كان نداء الوحدة صاخباً، وفيه ما ردّ به العلويون، من انطاكية إلى سائر أرجاء الدولة الانفصالية على دعائها، وكان في رأس خصوم أولاء زكي الأرسوزي الذي كان يتصدر مؤسسي عصبة العمل القومي في ثلاثينيات القرن الماضي، فمؤسسي حزب البعث العربي بعد أقل من عقد، والذي سيغدو منذ مطلع الخمسينيات حزب البعث العربي الاشتراكي.

على أن ما تنبغي ملاحظته هنا هو ما كان يترجّع في شعر بدوي الجبل، وبخاصة في بداية عهده الفرنسي الانفصالي، من إلحاح على الوحدة، وعلى المقاومة، وليس أقوى من ذلك في الدلالة على التناقض الذي كان بدوي الجبل يعيشه بين الفنان والسياسي. فمنذ عام ١٩٢١ أشارت قصيدته (حياة أسير القيد لفظ بلا معنى) إلى تقطيع الاستعمار لأوصال الوطن، وإلى النزوع الوجدوي في جبل العلويين، وإلى الخونة الانفصاليين، ومنها:

يريدون هذا البعدَ بيني وبينكم فلا نَعْمُوا بالأول ولا صحبوا يُمنًا
لئنْ خانَ عهدَ الغوطتين عصابةً رأوا بيعَهم ربحاً وألفيتُه غُبنا
ففي الجبلِ النَّائي لعصبةٍ جَلَّقَ من القومِ خلدنْ لم يخنْ في الهوى خلدنا

وفي السنة نفسها تنشر له جريدة (ألف باء - ٢٤/١٠/١٩٢٠) قصيدة (تحية الجنرال) بتوقيع (وطني لا ييأس)، ويؤكد هاشم عثمان أن الشاعر اعترف في إحدى جلساته أن القصيدة قصيدته، وهي في مديح جنرال فرنسي، لم يضمها ديوانه، وأثبتها هاشم عثمان في كتابه (بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة)^(٦)، ومنها:

أسدٌ أطلَّ على الشَّامِ فهلَّلتُ وكذا تكونُ تحيةُ الآسَادِ
بسمتُ لوجهك مرتين^(٧) ورحتُ أنجادها بليوثك الأنجادِ
ويحمل البدوي في هذه القصيدة على السياسة، وينفض يده منها قائلاً:

كنا فلاسفةً سياسةً مدةً فاليوم نحنُ بها من الزهادِ
يا للسياسة كم نفوسٍ أزهقتُ ودمٍ هما ملءُ الصعيدِ جمادِ
واليوم ودَّعتِ السياسةُ جلقٌ فارتاحَ حاضرٌ جلقٍ والبادي

وله قصيدة أخرى لم يضمها ديوانه، وأثبتها هاشم عثمان في كتابه المذكور وصالح عضيمة في كتابه (هذا هو بدوي الجبل)^(٨)، هي قصيدة (عواقب الجهل)، التي نشرتها مجلة (العرفان) اللبنانية (آب - أغسطس ١٩٢١) وفيها يحمل الشاعر على الشيخ صالح العلي والثوار، ويمتدح من الفرنسيين الضابط (نيجر)، ومنها:

وليث من الإفرنسِ صعبٌ مراسهٌ صوُولٌ وأفواهُ المنايا فواغرُ
أنيجرُ رفقاً بعد ذاك ورحمةٌ فانتَ على ما شئتَ بالقومِ قادرُ
هم قتلوا والجهلُ سلٌ سيوفهم وهم أثموا والجهلُ في الإثمِ أمرُ

أنثذ، ومهما اختلفت الروايات في تاريخ ميلاد الشاعر، فقد كان - بالكاد - في العشرين، وفيما راح يغذ الخطى مع الفرنسيين والانفصاليين، سنرى في شعره ما ينقض ممارساته السياسية، ففي سنة ١٩٢٢، وفي قصيدة (لبنان والغوطتان) التي ألقاها في حفل تكريم في مدينة جونية اللبنانية لشاعر القطرين خليل مطران، نقرأ:

للضاد ترجع أنساب مفرقة فالضاد أفضل أم برة وأب
هل لابن دجلة حق غير مغتصب أم لابن جلق إرث غير متتهب
لأرحلن فلي في الأرض متسع إن ضاق بي صدر هذا الموطن الرحب
وفي السنة التالية حياً الحسين بن علي في عمان بقصيدة (تحية الملك) ومنها:

وحد العرب وأسعد أمة سادت العالم في ماضي السنين
وعندما أقام المجمع العلمي العربي في دمشق حقلاً تأبينياً للمنفلوطي وللأوسي
عام ١٩٢٤، ألقى البدوي قصيدة (تلك الأقاليم الثلاثة)، ومنها:

تلك الأقاليم الثلاثة واحد بردى الشام ودجلة والنيل
هذا هو الحق الصراح فحسبكم قول السياسية كله تدجيل
وفي السنة نفسها، وفي قصيدة (على أطلال الجزيرة العربية) نقراً:

ولقد أقول لغاصبين مشوا بها مرحاً وأثقلها الشقاء وآدها
أقبلتم كالمرشدين وساءكم بعد الكرى أن تستبين رشادها
ونقع على مثل ذلك - أخيراً وليس آخراً - في قصيدة (طمع الأقوياء - ١٩٢٤)،
وبخاصة إشارته إلى الاستعمار:

يا بني أم هبّة بعد نوم كشف الصبح بالضياء الظلاما
أيها الأقوياء ليناً وعطفاً أشعوباً ترعونها أم سواها
في رماد الضعيف نار فمهلاً إن ظلم القوي يذكي الضراما

لقد شهد عام ١٩٢٤ حضوراً قوياً لشعر البدوي المتناقض مع ممارساته السياسية،
فإلى قصائده السابقة ألقى في المجمع العلمي العربي في دمشق أيضاً قصيدة (أهوى الشام)
(وتعالوا نعد الصيد)، وفي جمعية الشباب العربي في بيروت، ألقى قصيدة (تحية الشباب)
في مدرسة اللايك الفرنسية، ومنها قوله محرضاً الشباب اللبناني ضد الطائفية:

هذا أسيرك يا مذهب مله عض القيود، ألم يئن إفلاته؟

وفي السنة التالية صدر ديوانه الأول (ديوان بدوي الجبل - الشفق) عن مطبعة العرفان في صيدا (لبنان) فاحتفى به أعلام الأدباء، مثل محمد كرد علي و خليل مردم والأخطل الصغير وعبد القادر المغربي الذي أطلق على الشاعر لقباً آخر هو (الشاعر الفتى)، وقد عارض بدوي الجبل في هذا العام (١٩٢٥) قصيدة شوقي في (زحلة) اللبنانية، ونشرت جريدة (الأحرار) القصيدتين معاً تحت عنوان (لبنان بين شاعرين)، ثم التقى بدوي الجبل بأحمد شوقي في بيروت، لأول مرة.

بعودة بولة العلويين إلى الوطن الأم (١٩٣٦/١٢/٥) انتهت المرحلة الثانية من حياة بدوي الجبل السياسية، مرحلة التعاون مع الفرنسيين، ولم يسلم هذه المرة أيضاً، ولكن ممن ظلوا انفصاليين (حملة جريدة البشير اليسوعية البيروتية - مثلاً).

وفي عام ١٩٣٨ احتُفلَ باليوبيل الذهبي لوالد الشاعر: الشيخ سليمان الأحمد. وفي هذا العام حضر البدوي في القاهرة المؤتمر البرلماني العربي من أجل فلسطين، بصفته نائباً في مجلس النواب السوري، وفيما عادت فرنسا إلى إثارة الانفصاليين في شرق سورية (الجزيرة) وساحلها وجبله (ما كان بولة العلويين) وجنوبها (جبل العرب أو جبل الدروز)، نشط بدوي الجبل في عداد (الكتلة الوطنية) الحاكمة، ضد المحاولات الفرنسية، وهو ما انتهى، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، بالعودة إلى تقسيم البلاد. ولأن بدوي الجبل وقف مع من قاوموا ذلك، اضطرَّ إلى أن يلجأ مع أسرته إلى العراق. وفي هذه السنة (١٩٣٩) كان قد كتب قصيدة (مصرع الشمس) مؤبناً الملك غازي (العراق) الذي كان أمثلة للشبان القوميين، كما كتب بدوي الجبل في هذا العام قصيدة (تحية فيصل الصغير)، وليست هاتان القصيدتان، ومن قبلهما قصيدته في الحسين بن علي (تحية الملك) إلا واحدة من الإشارات الجمّة إلى تعلق بدوي الجبل بالعرش الهاشمي، تعبيراً عن المثال الروحي للشاعر من جهة، وعن نزوعه القومي الوحدوي من جهة أخرى، ليس ابتداءً بقصيدته (على أطلال الجزيرة العربية) ولا انتهاءً بإهداء ديوانه الثاني إلى الملك فيصل بن عبد العزيز.

في ملجئه البغدادي عمل الشاعر مدرساً في معهد المعلمين في بغداد، وبلغ نشاطه من أجل سورية ما جعل فرنسا تطالب بإخراجه من بغداد. وعندما احتلت ألمانيا باريس كتب قصيدته (إني لأشمت بالجبار) والتي ستشيع باسم (سقوط باريس) وباسم (يا سامر الحي) وستدوي في أرجاء العرب منذ ألقاها في احتفال نادي (المثنى) البغدادي بذكرى الثورة العربية التي قادها الحسين بن علي عام ١٩١٦ من الحجاز.

ولما اندلعت في بغداد عام ١٩٤١ ثورة رشيد عالي الكيلاني، انخرط بدوي الجبل في صفوفها، وكتب قصيدته (دمعة على الشام)، وبإخفاق الثورة عاد إلى اللاذقية، فزج في قلعة (كسب) شمالي اللاذقية، حتى وصول القوات الإنكليزية والقوات الديغولية الفرنسية، حيث نقل من معتقله إلى الإقامة الجبرية في منزله باللاذقية إلى أن أطلق سراحه، وإبان ذلك توفي والده (١٩٤٢)، وقد كانت قصيدته الأولى بعد إطلاق سراحه في ذكرى الزعيم التاريخي إبراهيم هنانو، وهي قصيدة (آلام).

من بعد عاد بدوي الجبل إلى الحياة السياسية نائباً عن اللاذقية، في البرلمان الأول بعد إعلان الاستقلال عام ١٩٤٣، وقد شارك عام ١٩٤٤ في ألفية أبي العلاء المعري - مع طه حسين والمازني وعمر أبي ريشة وآخرين - بقصيدته (إيه حكيم الدهر). وعندما صب الفرنسيون حممهم على دمشق (١٩٤٥) تطوع بدوي الجبل مع نواب آخرين - منهم أكرم الحوراني - في الدرك للدفاع عن البرلمان، كما ساهم في مقاومة العدوان الفرنسي على اللاذقية، وقرر الفرنسيون - فيما يروي رياض رويحة - اغتياله. لكن الأمواج هدأت به حتى ابتدأت الانقلابات العسكرية في سورية، فأمر قائد الانقلاب الأول حسني الزعيم (١٩٤٩) باعتقاله، لكن محافظ اللاذقية أنشد (سعيد السيد) والمكلف بالاعتقال، هرب البدوي بسيارته إلى بيروت، وكان البدوي قد انخرط في صفوف الحزب الوطني الذي آلت إليه الكتلة الوطنية.

بعد أربع سنوات أمر قائد الانقلاب العسكري الجديد (أديب الشيشكلي) باعتقال الشاعر، فيمم إلى العراق، وشارك في حفل تتويج الملك فيصل الثاني بقصيدة (يا وحشة الثأر)، وكانت الحكومة العراقية تسعى لاستقطاب الزعماء السوريين، فمنحت بدوي الجبل وسام الاستحقاق، لكنه رفض الوسام، وعاد إلى سورية نهاية عهد الشيشكلي عام ١٩٥٤، ليغدو وزيراً في عدة وزارات، وبفعل تداعيات حلف بغداد في سورية، تفكك الحزب الوطني، وانشق عنه بدوي الجبل مع آخرين، إلى أن انكشف أمر المؤامرة العراقية الانقلابية على سورية، بالتوازي مع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وكان بدوي الجبل ضالماً في المؤامرة - وهو ما تنفيه أسرته - ففر إلى بيروت، وأقام فيها خمس سنوات، كان يشارك أثنائها في ندوة الخميس التي تنظمها مجلة (شعر)، وإثر المحاولة الانقلابية للحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان عام ١٩٦١، أمر بالمغادرة، فمضى إلى استنبول، ثم تطوح بين روما وتونس وفيينا وجنيف التي أقام فيها قرابة السنة، قضى خمسة أشهر منها مريضاً.

عارض صاحب الشعر القومي الوجدوي دولة الوحدة السورية المصرية، وعلق جمال عبد الناصر بشعره. وهو من صرح لإذاعة القاهرة - كما نقلت الصحف ومنها جريدة البلاد ١٥/١/١٩٥٦ - إثر لقائه بعبد الناصر، مؤكداً على أن من واجب كل عربي يمر بالقاهرة أن يتعرف على شخصية الرئيس عبد الناصر، لأن هذا الزعيم الكبير هو ملك لجميع العرب، لا لمصر وحدها، ولعلّ علينا هنا أن تلتفت إلى إيثار الشاعر في شعره للعادل المستبد على ما يعده من ظلم الجماهير، كما في قوله: "حبذا الحكم عادلاً مستبداً" وفي قوله:

إن شرّ الأمور ظلمُ الجماهيرِ وأهونُ بالظلم إن كان فرداً

وهو من أبدى وأعاد في فردية عبد الناصر وسواه.

على الرغم من معارضة الشاعر لعبد الناصر، فقد جعله الانفصال الذي أودى بالجمهورية العربية المتحدة، ينتظر سنة قبل أن يسمح له بالعودة، مفوتاً عليه المشاركة في الانتخابات النيابية، والعودة إلى الحياة السياسية، وإثر انقلاب ٨ آذار - مارس ١٩٦٣ الذي جاء بحزب البعث العربي الاشتراكي إلى الحكم حتى اليوم، عوقب بدوي الجبل مع كثيرين من رعيه بالعزل لمدة عشر سنوات، فغادر إلى فيينا، وفيها كتب قصيدته (البلبل الغريب) التي أثارت شفيق جبري الملقب بشاعر الشام، فكتب قصيدة (بلابل نوح)، فحياها البدوي بقصيدة (حنين الغريب) وكانت جنيف قد صارت مقامه.

من الطريف المؤسي هنا أن الوزير البعثي السابق، والأديب والمترجم اللامع سامي الجندي، بعدما صار مصيره - وعلى يد رفاق الأمس - كمصير البدوي المنفي، كتب: "عندما صدر مرسوم عزله السياسي ضحكت، وأوغلت في الضحك، فسألني صديق: لمّ قلت ما أبشع ألا يذكرني التاريخ إلا بشطر يهجوني فيه، أو بعض شطر.

مهما جهدت في تصوير مرارتي وأنا أمهر المرسوم بتوقيعي، لن أستطيع. كان قرار أكثرية، والسياسة تفرض على السياسي أن يكون دائماً مع القطيع ضد رؤاه، تلك هي حكمة المرحلة التاريخية (...) وقد يقول كاتب بعد ألف عام إننا كنا نعيش بداية الأمر في شعر هذا المنفي بيننا: البدوي"^(٩).

هكذا خرج الشاعر من الحلبة السياسية، وهو القائل: "لا بارك الله في الساعة التي جرنني فيها الضعف الإنساني إلى النيابات والوزارات" كما ينقل عنه أكرم زعيتر، صديقه الذي قدم لديوانه الثاني.

لكن نكد الدهر على بدوي الجبل تواصل، ففجع بابنه عدنان الذي توفي عام ١٩٦٨ عن اثنتين وثلاثين سنة، وكان ممن عزّوا البدوي (شاعر الأهرام) محمد عبد الغني حسن في قصيدة نشرتها مجلة (الأديب) اللبنانية، ومنها:

أنت غنيتنا زماناً فدعُنا بالدموع الغزارِ نبكي زماناً
نكبةُ القدس لم تدعْ لكلينا منبعاً للبكاء ولا أحزاناً
لم تعد رنةُ النواقيس فيها مثل أمس ولا الأذان أذاناً
نعيُ عدنان هزّ منّا فؤاداً يا صديقي وهزّ كياناً

وفي العام نفسه تعرض الشاعر لاعتداء جسدي فادح، أورثه لجلجة في النطق. وبعد نجاته، فيما يروي هاشم عثمان، دأب السفير المصري في دمشق على زيارته يومياً في منزله، ونقل إليه رغبة جمال عبد الناصر في استضافته، فقال: "عبد الناصر طوق عنقي". وحين ذكّره عثمان بما قاله في عبد الناصر، أردف: "لقد أخطأت في حقه".

عقب هزيمة ١٩٦٧ كتب بدوي الجبل قصيدته (من وحي الهزيمة)، فذاعت ذيوع قصيدة (إني لأشمت بالجبار)، وقد أساءت القصيدة - التي وصفت بالعاصفة - من النظام من أساءت، فطعن الشاعر بالسكين في رأسه وهو يمارس رياضته الصباحية خارج منزله، ثم اختطف إلى قبو، وكان ذلك في ٢٧/٤/١٩٦٨.

أشارت الأصابع إلى رئيس المخابرات عبد الكريم الجندي، وإثر تدخل وزير الدفاع آنئذ اللواء حافظ الأسد، رمي بدوي الجبل في أحد مشافي دمشق في ٣٠/٤/١٩٦٨، وظل في الغيبوبة أربعين يوماً، وقد عاش ما تبقى له منزوياً، حتى كانت وفاته في ١٨/٨/١٩٨١، حيث دفن بجانب ضريح والده في قرية السلطنة.

* * *

كأي مبدع إشكالي كبير، كان بدوي الجبل موضع خلاف وقدح ومدح. وقد يسرّ تعاونه مع الفرنسيين السبيل على من قدح، لكن الشاعر اعتذر عما كان منه، وتعلل له غير مرة، ومن ذلك ما ردّ به على حملة جريدة (البشير) التي سبقت الإشارة إليها، حيث قال: "لقد أسأت يا سيدي وأحسننت، والحسنة الواحدة بعشر سيئات، على أنني لا أريد هذا الحساب ولا أقبله، بل حسبي أن تكون الحسنة بدل السيئة، لا أكثر ولا أقل،

وأنا في هذا الحساب لن أكون أمام الأمة العربية ولا أمام ضميري مدينًا، بل أنا واثق أنني سأكون الدائن الغني، وأستغفر الله على هذا الزهو، فما أريد به منًا ولا فخراً، وفي مقام آخر قال: "إنني لم أنكر موقف الضعف الذي وقفته سنة ١٩٢٠ الذي دفعتني إليه أعصاب أرهقها الطغيان وحدائث سن لها حكمها، وسيطرة اليأس على النفوس في تلك الفترة العصيبة".

رافقت الحرارة والمبالغة - غالباً - قدح الممارسة السياسية لبدوي الجبل، من ماضيه مع الفرنسيين إلى ماضيه مع الرعيل الذي دأبت الانقلابات العسكرية والأحزاب الثورية على وصمه بالرجعية، وفي أحسن حال، بالليبرالية. وعلى الرغم من ذلك ظل شعر الشاعر - غالباً أيضاً - في منأى، وهو ما ساعد عليه بُعد العهد وتقلب الأحوال، مثلما كان الأمر مع المتنبي وكافور، أو مع شوقي وعرابي أو... حيث يمضي الشاعر، ويبقى من شعره ما يبقى، وإن يكن لم يعد ولن يعد من يعود إلى رمي الشعر بسيرة صاحبه، مثلما كان لبدوي الجبل على يد صالح عضيمة في كتابه (هذا هو بدوي الجبل)، والذي يعتمد بخاصة على السماع ممن عايشوا الشاعر في مقتبل حياته.

يقول عضيمة: "فلم نكتب هنا خبراً واحداً لم نطمئن إلى صحته وسلامته، ولم نأت على سرد أي حديث ما لم نكن قد سمعناه من هؤلاء ومن غيرهم، وما لم يكن متواتراً وذائعاً صيته"، وبمعزل عن القيمة العلمية للسماع في عالم اليوم، لا يشك عضيمة في أن الناس جميعاً سيكون لهم هذا الكتاب مفاجأة "لكنهم سيشهدون أن هذه المفاجأة العجيبة جاءت في محلها"، ولا يشك عضيمة أيضاً في أن الشاعر بعد هذا الكتاب "سيهون شأنه في الشعر عند كثير من الناس، كما هان شأنه في السياسة".

ينفي عضيمة ما هو ثابت تاريخياً مما كان للبدوي بين الشيخ صالح العلي أثناء ثورته، وبين المركز في دمشق، كما ينفي أن يكون البدوي قد ألقى محاضرة في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم تنهال الاتهامات والشتم، فالبدوي منافق في حياته وقصائده، وقد كتب قصيدته (الكعبة الزهراء) في مطلع ستينيات القرن الماضي، لأن انعقاد المؤتمر الإسلامي كان وشيكاً.

تتوالى فصول كتاب عضيمة لتشخص في شعر الشاعر ظواهر النهب والخطف والاختلاس والاجترار والقصور في الأداء... وابتداءً من تقريره أن الشعراء في تاريخ البشرية جميعاً، نهابون في طورهم الأول، يقرر أن بدوي الجبل نهب من شعر من عاصروهم ومن تقدموه، وحسبنا منه هذا المثال الذي لعله يكون كافياً، حيث يأتي ببيت

للبدوي، ويشير إلى المنهوب أبي اسحاق الصابي، ثم يقرر أن هذا المعنى شائع بين الشعراء، وحين يشير إلى نهب البدوي من ابن الرومي ومن أبي تمام، يجزم أن الناهب لم يقرأ هذه المصادر ولم يعرفها "فلم يبق إلا أنه تعرف على واحد منها، في بعض المعاجم المتداولة"، وقد يصل الأمر بالمحقق في النهب أن يجزم بوقوع النهب من شاعر "هرب من ذاكرتي اسمه".

لا يقبل عضيمة بوقوع الخف على الخف ولا الحافر على الحافر، ويساوي بين المعارضة والنهب، كما في مقارنة له بين أحمد شوقي وبين البدوي، وفي مقارنة أخرى، بين الشاعرين، تكون البيئة على الخطف كلمة تداولها الشاعران، وإن بتصرف:

قال أحمد شوقي:

ما بين شاد في المجالس أيكه^و ومحجبات الأيك في الأرواح
وقال بدوي الجبل:

شاد على الأيك غناها فأشجانا تبارك الشعر أطياباً وألحانا

وينتهي عضيمة إلى أن شعر البدوي في عبد الناصر، جاء استجابة لأجهزة أمنية، وأن قصيدته (من وحي الهزيمة) قد جاءت استجابة لإغراءات تجار النفط وسمايرة الحق العربي والشرق الإسلامي.

بالطبع، يستظل الممارسة السياسية لبدوي الجبل، ولأي ممن يقضون، قائمة في التاريخ السياسي، وقد تظل فاعلة في الوجدان، وسواء أغفر لبدوي الجبل ما تقدم من تعاونه مع الفرنسيين وما تلا، أم لم يغفر، فوكدنا ليس هنا، إلا بقدر ما يتصل الأمر بإشكالية المبدع - السياسي - بل الوكد هو شعر بدوي الجبل، فلنتابع.

* * *

ذكرنا أن الديوان الأول لبدوي الجبل صدر عام ١٩٢٥، وهذا الذي كان قد ابتدأ ييمم صوب الانفصاليين والفرنسيين، صدر ديوانه الأول بهذا الإهداء إلى رمز الشهادة الوطنية في سورية: يوسف العظمة: "إلى مثال البطولة العربية، إلى الشهيد الراقد في ميسلون، إلى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة"، ومن المفارقة أن الديوان التالي لبدوي الجبل لم يصدر إلا عام ١٩٧٨، أي بعد ثلاث وخمسين سنة من الديوان الأول، على الرغم من أنه كان بوسعه ألا ينتظر إلا أقل القليل من ذلك، ولئن كان انخراط الشاعر في العمل السياسي يفسر هذا الانتظار حتى اعتزاله هذا العمل

منذ نهاية خمسينيات القرن الماضي، فما الذي جعله ينتظر من بعد، وهو الذي وعد منذ عام ١٩٦٣ بالديوان ويكتب أخرى فقال: "إنني الآن في طريقي إلى أوروبا، وعندما أعود بعافيتي إن شاء الله، سأنصرف إلى تهذيب بعض كتب لي في الأدب والتاريخ، ولا سيما تاريخ الحركات العربية التي رافقتها وعرفت زعماءها واحداً واحداً، وكان لي شرف المساهمة بقسط متواضع فيها، كما أن لي ديوان شعر تحول بعض الظروف بون طبعه الآن، وأرجو أن يتهيا لي ذلك قريباً إن شاء الله" (١٠).

لم يتحقق من وعد الشاعر غير ديوانه الثاني، كما لم يتحقق وعده بسيرته الذاتية التي أعلن انتهاءه من كتابتها عام ١٩٧١ (١١)، أما الديوان الثاني فقد تذيّل تحت عنوان (البواكير) بأغلب الأول، لكن للشاعر أيضاً قصائد نُشرت في الدوريات، ولم يضمّها أي من ديوانيه، ومنها قصيدة (سعد والكنانة) التي ظهرت في جريدة ألف باء في ١٠/١٠/١٩٢٠، وفيها نقراً:

إيه يا سعدُ زادكَ اللهُ سَعداً ابنِ ما شئتَ للكنانة مجداً
قبلَ مصرَ وقبلَ بُعدك عنها ما عرفنا المحبَّ يحمداً بعداً
زادها النيلُ بهجةً وجمالاً وحباً لها فيه سلاماً وبرداً
وظباء مثل الملائك طهراً ما هوت غير مصر قبلأً وبعداً
إيه شوقي يا ساجعَ النيلِ غردْ وامنحَ النيلَ من مغانيك عقداً
ذبلَ الرندُ والأقاحُ فأنعشْ بأغاني الهوى أقاحاً ورنداً

ومثل ذلك قصيدته (إلى عبد الوهاب) التي نُشرت في مجلة الأمانى اللاذقية (نيسان - إبريل ١٩٣١) ومنها:

يا بلبلَ الوادي ومؤنسَ دوحه ومديلَ بهجتِه من الأيامِ
روّ النفوسَ الظلمات وعاطها كأسيكَ من سحر ومن إلهامِ
أمنتُ بالآلام وهي مريرة العبقريّة منحّة الآلامِ
خلعتُ عليك جلالها وجمالها وجزيتها بعرائس الأنعامِ
تبلى العيونُ وقد تعيدُ حياتها نفسٌ معذبّة وقلبٌ دامِ

وللشاعر قصائد كذلك ضمها ديوانه الأول، وغابت عما حضر منه في الديوان الثاني، كقصيدة (ويلي على أمم الشرق) التي كتبها إثر انقسام الوفد المصري، ومنها:

إِنْ تَجْرُ يَا نَيْلٌ بَعْدَ الْيَوْمِ فَاجْرُ دَمًا عَلَى رَبِي مِصْرَ وَابِكِ التَّاجِ وَالْعِلْمَا
مَاذَا دَهَا مِصْرُ حَتَّى رِيضَ جَانِحُهَا وَمَا دَهَا شَعْبَهَا الْمَظْلُومَ فَانْقَسَمَا؟
وَيْلِي بِمِصْرَ عَلَى شَعْبٍ إِذَا فَعَرَتْ لَهُ الْمَظْلَامُ فَاهَا ظَلَّ مَبْتَسَمَا
أَبْنَاءَ مِصْرٍ فِي مِصْرٍ وَتَرْتَهَا قَطْرُ سَيْلٍ عَلَى الْأَرْجَاءِ مَنْسَجَمَا
يَا سَعْدُ يَا سَعْدُ وَالْأَقْدَارُ غَامِضَةٌ وَاللَّهُ سَعْدُكَ مَا وَلَّى وَمَا انْهَزَمَا

ويل السياسة ما أوهى مودتها تقضي فلا موثقاً ترعى ولا ذمماً
تصدرت الديوان الثاني مقدمة مطولة لأكرم زعيتر الذي يحملها هاشم عثمان جريرة العبث في القصائد: حذفاً لبعضها من الديوان الأول، وتبديلاً بعنوانات بعضها، وإضافة أبيات وحذف أبيات وتعديل أبيات وتبديل مفردات في بعضها، وتوزيع قصيدة اللهب القدسي على ثلاث... وقد أسهب هاشم عثمان في تبيان ذلك، كما أثبت ما غاب عن الديوان الثاني من الأول، وما غاب عن الديوانين^(١٢). إلا أن الجريرة - إن كانت ثمة جريرة - لا يتحملها أكرم زعيتر، فهو من أقرب المقربين إلى بدوي الجبل طوال عقود. وكل ما في الأمر، في نظرنا، هو أن الشاعر نفسه قد دقق في شعره، وهو أمر معروف فيما بين النشر في دورية والنشر في ديوان، بل فيما بين طبعة من ديوان وأخرى. ويبقى للمحقق أو للمؤرخ أو للدارس أن يقارن ويستنتج، لا أن يحرم على الشاعر أن ينظر في شعره ما دام حياً، وتوكيدنا على ذلك مرده، ليس فقط صداقة بدوي الجبل وأكرم زعيتر، بل صدور الديوان قبل وفاة الشاعر بثلاث سنوات، فضلاً عن أنه كتب لزعيتر ما يؤكد تدقيقه في القصيدة قبل أن يرسلها: "وقد كنت رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً وأنا أنظم قصيدتي (البلبل الغريب) في فيينا، وقصيدتي (حنين الغريب) في جنيف، وكنت أستشيرك في كل نغم، وأسارك في كل ألم، وأنتقي وإياك المفردات، ونغير هنا كلمة، ونبدل هنا كلمة...". وإن كان من أسف على أن الديوان لم يضم كل ما كتب الشاعر حتى عام ١٩٧٨، فالأسف أكبر على أن شيئاً لم يظهر بعد مما لم يُنشر للشاعر، سواء في الشعر أم في سواه.

* * *

أهدى بدوي الجبل ديوانه الثاني إلى (الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود)، وجعل من خاتمة كلمته في رثاء فيصل - كما نشرتها جريدة الحياة في ١٩٧٥/٣/٢٨ - نصّ ذلك الإهداء: "لقد حرمك استشهاده أن تصلي في المسجد الأقصى، ولكن استشهاده سيكتب في لوح القدر أن يصلي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في المسجد الأقصى، وستكون ذكراك وأحزانك وإيمانك النفحة السمحة الساجية عندما يؤذن المؤذن فيه: الله أكبر".

ولعل من الأوفى لتبيين تطور تجربة الشاعر الفنية والروحية، والعلامات الفارقة في هذه التجربة، أن يبدأ المرء من ذيل الديوان (البواكير) حيث جلّ ما ضمّه الديوان الأول لبديوي الجبل، واللافت هنا هو وفرة القصائد التي تلون المقاطع واللوازم والقوافي، ابتداء من قصيدة (مربع الأحباب - ١٩٢٠) التي جاءت في هيئة رباعيات، أما قصيدة (الشاعر والبؤس - ١٩٢١) فقد ابتدأت بيت قافيته من قافية اللازمة، ثم تلا المطلع مقطع من خمسة أبيات قافيتها هي قافية اللازمة - البيتان التاليان. وتوالى بعد ذلك بناء القصيدة مقطعاً فمقطعاً، وكل مقطع من خمسة أبيات تختلف قافيته، وتختمه اللازمة، وهذا ما نجده في قصيدة (أي أمر ساعها - ١٩٢١) التي تبتدئ بأبيات هائية القافية، فاللزامة بالقافية نفسها، ثم يأتي مقطع مختلف القافية، فاللزامة الهائية، أما قصيدة (مي في وطنها - ١٩٢١) فقد اكتفت بالمقاطع التي تتلون قوافيها، دون اللازمة.

إذا كانت هذه المحاولة الحبيّة والمحدودة في الخروج على مألوف بناء القصيدة الكلاسيكية، تتأسس في التراث الشعري أيضاً، وأقربه هنا: التوشيح، فلعل المحاولة توميّ إلى تملل الشاعر الفتى وطموحه، وهو من برهن على تمكنه من البناء الكلاسيكي للقصيدة، وهكذا يستظل محاولته تتلامح في ديوانه الأول بين قصيدة وأخرى (الروح الثائرة: ١٩٢٢ - البلبل الصريع: ١٩٢٢ - نشوة اليأس: ١٩٢٢ - لا تحبيني: ١٩٢٣ - عاطفتي: ١٩٢٣ - أغنية البريوني: ١٩٢٣ - لا تذكرني الماضي: ١٩٢٣ - شعاع العيون: ١٩٢٤ - دموع ودموع: ١٩٢٥ - أنا وهي: ١٩٢٥).

تشير ملاحظة تواريخ القصائد إلى تراجع محاولة الخروج، وهو ما يستحسسه قصائد الديوان الثاني جميعاً، وكان الشاعر قد عبر عن تلك المحاولة في بعض قصائده الأولى. ففي قصيدة (حياة أسير القيد لفظ بلا معنى) يقول:

يظنون أنّ الشعرَ وزنٌ وطالما قرأتُ من الأشعارِ ما خالفَ الوزنا

وفي قصيدة (تحية الشباب) يقول في الجديد والقديم:

قالوا: الجديدُ فقلتُ من أنصاره قلمُ الحكيم وزقُّه ودوائُهُ
فيه هناتٌ لا أقولُ ذميمةً بعضُ الملاحه في الجمال هناتُهُ
وأرى القديمَ يحولُ عن حسناته فتضيعُ بينَ ذنوبه حسناته
وسنرى الشاعر أجلى تعبيراً عن ذلك فيما كتب في مجلة (مينيرفا) عام ١٩٢٤،
ومنه: "لقد قلنا إن الخليل تتجلى إجادته عندما يكون مبتكراً في موضوعاته وأوزانه
ورنات شعره، وهذا ما يفهم منه كل قارئ أننا من أنصار التجدد في الأدب العربي،
التجدد الصحيح الذي لا يهدم بناء اللغة العربية في الخروج على قواعدها اللغوية.
هذا الخروج الذي يذهب إليه بعض غلاة المنازعين إلى تجدد يبنون منه على أنقاض
اللغة العربية وقواعدها أدباً هجيناً غير صراح" (١٣).

غير أن بدوي الجبل سيطوي هذه الصفحة، ويحسم أمره، مفارقة لما سيعايش من
الجديد في الشعر، وانحيازاً للكلاسيكي، على الرغم من أنه من قال عام ١٩٥٠ في
قصيدة (بدعة الذل):

أنا أبكي لكل قيسٍ فأبكي لقريضٍ تغلُّه الأوزانُ

فبعد ثلاث سنوات، وفي مشاركته على استفتاء مجلة (الآداب) اللبنانية للشعراء
في أمر الوزن والقافية، يقول بدوي الجبل: "إن الشعر العربي في قوالب الوزن والقافية
يتسع لكل ما يتفق مع رسالته من حاجات الحياة المعاصرة، والعربية واسعة خصبة،
فالفقر ليس فيها، والوزن والقافية نغم وجمال وعذوبة لا قيود وحدود.

أما الشعر ونقاد الشعر الذين يرون تحرير الشعر العربي من قوالب الوزن
والقافية، ففي وسعهم أن يفعلوا ذلك، وسنقرأ حينئذ فناً رفيعاً وسيماً، قد يكون حكمة،
وقد يكون فلسفة، وقد يكون كل شيء، ولكنه - وهذا غير مهم - لن يكون شعراً عربياً
على كل حال.

أما اقتراحاتي في هذا الموضوع فتتلخص في اقتراح واحد، هو أن ينظم هؤلاء السادة
شعرهم العربي المحرر من الوزن والقافية بلغة غير اللغة العربية، ونحن بهذا الاقتراح المتواضع
المتسامح نريد أن ننفي عنا تهمة العصبية للقديم ومحاولة فرضه على الناس" (١٤).

لقد تملص الشاعر من البيت السابق (أنا أبكي..) حين سألته عنه منير العكش، فأجاب: "الشاعر غير مقيد بكل ما يقوله، فقد تمر به خاطرة عابرة، وقد تمر به خاطرة يملئها جو القصيدة، وعندما تكلمت عن القيود في قصيدتي، مرّ هذا المعنى مروراً، وأنا في الواقع، وبحكم دراستي الأدبية، لا أؤمن بأن الأوزان قيود، ولكنها نغم وعطر وجمال"^(١٥)، وفي المحاوره نفسها مع العكش، يؤكد الشاعر أنه لم يدرس العروض، لكنه يعتقد أن "الوزن في الشعر العربي قطعة لا تتجزأ منه، وكل عبث بالأوزان هو عبث بالشعر وعبقريته وإلهامه"^(١٥).

في الآن نفسه يبدو أمر الشعر والشاعر شاغلاً على الدوام لبديوي الجبل، يقلّبه في قصائده عقداً فعقداً، ومن مواطن ذلك في الديوانين الأول والثاني قصائد: دموع ودموع - حياة أسير القيد لفظ بلا معنى - أي أمر ساعها - لبنان والخطوطان - لا تحبيني - على أطلال الجزيرة العربية - نم بقلبي - كافور - حنين الغريب - غربة الروح - وفاء القبور - خمرة الأحزان.. وسنرى بدوي الجبل أجلى تعبيراً عن أمر الشعر والشاعر والشاعرية، فيما حاوره به منير العكش عام ١٩٧١، ومنه^(١٥):

١ - الشعر:

"أما الشعر فلا تعريف له، وكل تعريف للشعر جرأة على تفردّه وتميزه، كل ما يُعرف به يمكن أن يُعاني، والشعر لا يُعاني إلا من الشاعر، والشعر عندي نوع من النبوة، إنه خيال، ونغم، وضوء وصور، ولكنه فوق ذلك شيء أشمل وأدق، ولا يمكن التعبير عن هذا الشيء مطلقاً، وعندما أشبهه بالنبوة، والنبوة إلهام وغيبية، أكاد أحس أنني عبرت - تعبيراً ناقصاً - عن هذا الشيء في الشعر".

٢ - الشاعر:

"إن المدرسة، والثقافة، والمجتمع، والتاريخ، قد تخلق عالماً، وقد تخلق فيلسوفاً، وقد تخلق فاتحاً، وقد تخلق مخترعاً، وقد تخلق أنواعاً متعددة من العظمة، ولكنها لن تستطيع أن تخلق شاعراً، فإله وحده هو الذي يخلق الشاعر".

٣ - الشاعرية:

"الشاعر لا يستطيع تفسير شاعريته، ولا تعريفها، ولا يعرف حدودها، ولا أضواءها ولا ظلالها، إنها في السريرة كالعتمة، تتحول إلى قليل من ضوء، ثم يزداد هذا الضوء حتى يتحول إشراقاً، ولكن لا بد من أن يبقى، في رأيي، ظل للعتمة في هذا النور المشرق".

٤ - لحظة الإبداع :

وأعرف أن نفسي تمتلئ قليلاً قليلاً بصور أجهلها، ومعان أجهلها، وقد يطول هذا معي أسابيع، ثم يمر شطر بيت، قد يكون صدرأ، وقد يكون عجزاً، فأثبتته، ثم تتوالى علي الصور، والمعاني، والخيالات، والنغم، والمفردات، دون ترتيب. فأثبت كل ما يأتيني، وأكون في حال أقرب إلى الغيبوبة منها إلى الصحو.

في هذه الحال، لا أحس بجوع، ولا أنام ملئ جفوني، بل يسيطر علي الأرق، وتتجمع أمام عيني خيالات، لا تلبث أن تتحول إلى مفردات، ثم إلى أبيات.

قبل ذلك بعشر سنوات كان بدوي الجبل - إبان عودته من المنفى - قد أجاب على سؤال مجلة (ألوان) الدمشقية: ما الشعر برأيك؟ فقال: "الشعر والجمال والنبوة يصعب تحديدها.. لأنها أشياء علوية لا يمكن أن تحدد، ولا يمكن للألفاظ أن تعطيها معانيها تماماً. والألفاظ أعجز من أن تحدد الجمال والشعر وأن تحدد النور، حتى وأن تحدد العطر والنغم، وكل هذه: العطر، والنغم، والجمال أجزاء من الشعر، ومع ذلك لا تحدد، فكيف بالشعر وهو يجمعها كلها؟" (١٦)

لاستيفاء نظر بدوي الجبل فيما تقدم من الوزن والقافية والشعر والشاعر والشاعرية ولحظة الإبداع، نتابع تلمس ما انتهى إليه في الشعر الحديث، ففي الحوار السابق مع مجلة (ألوان) يجيب على السؤال عن رأيه في حركة التجديد في الشعر العربي، فيقول: "رأبي في حركة التجديد واضح جداً، ويمكن أن نقسم الحركة إلى قسمين: التجديد لم يفارق الشعر العربي منذ نشوئه حتى الآن، فالشعر الإسلامي تجديد للشعر الجاهلي، والشعر الأموي تجديد لشعر صدر الإسلام، والعباسي تجديد للأموي، وشعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ومهيار الدمشقي تجديد لما سبق من عهود، وشعر الباروني وشوقي ومطران تجديد في الشعر العربي، فإذا كان المقصود بالتجديد هذا، فالتجديد لم يفارق الشعر العربي، وإذا كان غير هذا، نعود للقسم الثاني من حركة التجديد، وهو الشعر المتحرر من قيود الوزن والقافية، أنا لا أقسو على أصحاب هذا التجديد، فقد يكون فيه كل شيء: الحكمة، الأدب، الفلسفة، إلا الشعر، وأنا لا أعتقد أنه سيكتب له البقاء، لأنه لا يمكن أن يُحفظ أو يُروى أو يمثل جوهرة هذا الأمة في أية ناحية من نواحيها" (١٦).

وبعد سنة من ذلك يجيب على سؤال جريدة الصباح التونسية - كما نقلته مجلة الفكر التونسية - عن رأيه في الشعر الجديد، فيقول: "إذا كان معنى الجديد إضافة ثراء

جديد إلى الأدب العربي، فنحن نؤيده ونرحب به، أما إذا كان معنى الجديد الخروج على طابع الشعر العربي، والتحرر من الوزن والقافية، والبحث بقواعد اللغة، ونقل أدب غريب نقلاً مشوهاً ممسوخاً، فهذا ليس جديداً ولا تجديداً، وإنما هو موجة ضعف وتفكك وتهرب من عناء الإبداع والإتقان، ولن يكون لهذه الموجة أي أثر في مستقبل الأدب العربي، الوزن والقافية هما طابع الشعر العربي، والديباجة التي تجلو المعاني والخيال في إطار من النظام، أساس لا بد منه في الشعر العربي، وأكثر ما يسمونه بالشعر الجديد عاطل من كل هذا، لا حجة لأصحاب هذه المحاولات، فالشعر العربي الموزون المقفى يتسع لكل ما يجول في النفس الإنسانية من دقيق العواطف وجليلها وواضحها وخفيها، واللغة العربية من أغنى اللغات في كل المعاني الإنسانية والفكرية، والوزن والقافية تركيز للجمال وتركيز للموسيقى، إن الشعر الجديد المتفكك من قيود اللغة والوزن والقافية، أي المتفكك من حدود الجمال والموسيقى وأصالة البيان، لا يمكن أن يبقى" (١٧).

لغرض الاستيفاء، وإن تكن الإضافة محدودة، نمضي قدماً قرابة عشر سنوات، فنقرأ لبديوي الجبل في حوار لجريدة الثورة الدمشقية معه: "أنا لا أومن بما يسمونه الشعر الحديث، الشعر إما أن يكون شعراً أو لا يكون، ولا جديد ولا قديم منه، وهذا الذي يسمونه الشعر الحديث قد يكون كل شيء، إلا أن يكون شعراً، شعراً عربياً، للغة العربية طابعها، وهذا الطابع مفقود فيما يسمونه الشعر الجديد، وأنا لا أعلم كيف يزعم من لم يقرأ التراث، ولم يعرف عنه إلا ما يعرفه الطلاب الصغار في مدارس متوسطة، حتى يستطيع الشاعر أن يكون مجدداً عليه أولاً أن يقرأ القديم شعراً ونثراً، وأن يلم بالشعراء القدامى إلماماً صحيحاً، وأن يقرأ على الأقل كتب الجاحظ والتوحيدي وكتاب الأغاني، وقبل كل هذا نهج البلاغة، وقبل نهج البلاغة أن يقرأ القرآن ويدرسه دراسة طويلة، هل يراد من هذا التجديد أن ينسى الناس القرآن؟ إن هذا عيب، فالقرآن سيبقى خالداً ما بقيت السموات والأرض، وهذا التجديد أو ما يسمونه تجديداً نزوة سينتهي أمرها عندما يعود إلى اللغة العناية بها في المدارس، وعندها يخرج الطالب من المدرسة وقد تنوق لغته وفهم أسرارها" (١٨).

من الجلي أن معركة الشاعر الحاسمة قد باتت معركته مع الشعر الحديث الذي كان حضوره قد تعزز، بل طغى، في مطلع سبعينيات القرن الماضي، فيما كان الشعر الكلاسيكي ينوي ويتقصّف، أقله بفعل الزمن والموت الذي راح يفرد بدوي الجبل - والجواهري - في الوحدة، لذا وصل احتدام المعركة ببديوي الجبل إلى الاستعداد في

إشارته إلى القرآن، ولذا كان حكمه المبرم بأقول الشعر الحديث أو الجديد، وهو الحكم الذي خطأه الزمن على عهد البدوي نفسه، ولذا - أخيراً - ترى حكمه يتلجلج - وإن قليلاً - عندما يتصل الأمر بأعلام الشعر الحديث. فعندما لا يسمي يمضي إلى الجزم بأن هذا الشعر "صدي لأدب أجنبي.. إنكليزي أو ألماني أو فرنسي" ^(١٩) ويتخفف من الجزم في أن: "علماً بأن رأيي ليس كل شيء في القضية" ^(٢٠)، أما عندما يسمي فالأمر يختلف نسبياً: "هناك شعراء مثل أنونيس، بدر شاكر السياب وغيرهما، هؤلاء بثقافتهم العربية الواسعة وبأدبهم الواسع، أحبهم وأنتقدتهم في الوقت نفسه، أما الذين لا يتقنون اللغة العربية، ولم يقرأوا الأدب القديم، فلا يستحقون مني القراءة ولا الاهتمام، الشاعر يولد شاعراً لكنه بحاجة إلى لغة وثقافة أيضاً، الشعر الحديث لا هوية له. إنه ضائع، لا شاعرية فيه، شعر أنونيس القديم يدل على شاعرية ضخمة، لكنه لو وضع خياله الحاضر، وتألقه، في الأوزان الصحيحة، لكان شعره أفضل من الآن بكثير، ليس بإمكان الشاعر أن يخلق أوزاناً جديدة، وإذا خلق هذه الأوزان الجديدة فقط يخرج على الطابع العربي والروح العربية: يكون شعره فلسفة، يكون خيلاً رائعاً، لكن لن يكون شعراً، ولذلك فالشعر الحديث لا جمال فيه" ^(٢١)، وفي الآن نفسه، وفي حوار مع منير العكش يقول: "قرأت الشعر الحديث مرات عديدة، فلم تهناً نفسي، ولا نَعِمَ به نوقي الشعري. وأنا الآن لا أقرؤه، إلا إذا كان لمن أحبه، وأعتقد فيه الشاعرية، كأونيس ونازك الملائكة.

أقرأ شعرهما الحديث بحسرة ولوعة، لأن كليهما شاعر رائع أضاع نفسه، ويسعدني أن نازك الملائكة رجعت إلى طابعها الأصيل، وسأكون مغموراً بالسعادة، أنا والشعر، عندما يعود أنونيس إلى طابعه الأصيل" ^(٢٢).

* * *

لعل المفارقة هنا أن تقاطعاً غير قليل يقوم بين نظر بدوي الجبل للشعر، وبين نظر أنونيس بخاصة، وكثيرين من أعلام الشعر الحديث بعامة، حيث العتمة في الإشراق، كما عبر البدوي، أو الغموض كما يعبر سواه، وحيث النبي والشاعر، والنبوة والشعر، وحيث الوشاح الصوفي والغنوصي، ولكل ذلك حضوره المتواتر الفاعل في شعر بدوي الجبل، وهو القائل: "جنور التصوف قديمة عندي، ولي قصائد في التصوف، ولي قصائد في التصوف قبل العشرين من عمري، وربما كان لنشأتي في حضان أب مؤمن متصوف عالم، أثر في ذلك، فسريرتي - وشعري ينسكب من سريرتي - مغمورة بنور

التصوف، وعطر التصوف. والتصوف عندي إيمان بالله وفناء وحنان على كل محروم^(٢١).

فمنذ قصيدة (الروح الثائرة - ١٩٢٢) يتلامح الأثر الصوفي في مناجاة الروح وفي وحدة الوجود:

تلاشيتُ في هذه الكائناتِ ولم يتلاشَ إليكِ حنيني

وفي قصيدة (شعاع العيون - ١٩٢٤) يتجلى بقوة الحضور الأنثوي الصوفي في شعر بدوي الجبل، وهو الحضور الذي سيتواتر إلى النهاية، فالأنثى في هذه القصيدة هي سر الحياة وأنشودة الله، كما هي بعد عقود في قصيدة (خالقة) التي غنت منها فيروز واحدة من روائعها، هي حنين النور للنور، وكما يليق بالصوفي بامتياز، يحضر الحب والتشبيب. وقد يكون من يخاطبه الشاعر حبيباً أو حبيبة، بضمير المذكر أو المؤنث (قصائد: الحب والله - اللهب القدسي - الكعبة السمراء...).

تتلامع في صوفية شعر بدوي الجبل مفردة النور، وتحيل على نشأته الدينية والمذهبية، كما تحيل علامات أخرى، منها التقمص أو التحول: قصيدة (أطل من حرم الرؤيا فعزاني)، ومنها قوله: (فبالتحول بعد الله إيماني)، وقصيدة (وفاء القبور)، ومنها:

أقيمُ ما شئتُ في عدنٍ وأتركُها وأخلعُ الجسمَ أحياناً وأتزرُ

ومنها الباب والحجاب في قصائد (ابتهالات - حيرة النفس - وانجلت نفسي في النور - ظمأ إلى السراب).

غير أن صوفية شعر البدوي ليست أسيرة نشأة أو مذهبية بعينها، وهي بعامة يتجاذبها الشك والإيمان (وليل الإشراك وصبح المتاب) والجنة والجحيم والخلود، مما يتواتر ويتعمق في المتأخر من شعره، كما في قصائد: (ما شأن هذا الأشعث الجواب - فلسفة الحقيقة - أطل من حرم الرؤيا فعزاني - هواجس - النبع المسحور - السراب المظلم - ظمأ إلى السراب - أين أين الرعيل من أهل بدر...؟).

وحسبنا أن نذكر هنا من قصيدة (حيرة النفس) قوله:

ويا نفسي عبتك عن يقينٍ وحسبي قد عبت بكِ إلها

وقوله في قصيدة (الذكرى) التي يرثي فيها الشيخ علي محمد كامل (أبو أحمد):

أبا أحمد هل يرفعُ السترُ مرةً من الملاءِ الأعلى وتكشفُ الحجبُ
وفرزنا من النورِ المصونِ بلمحةٍ تقرُّ بها عينٌ ويندى بهما قلبُ

ولئن كانت صوفية هذا الشعر تلوح لسواها في التراث الشعري الصوفي العربي بخاصة، وغير العربي أيضاً، فالأهم هو ما حققه من خصوصية هنا، مما لا يتبين إلا في تبين خصوصية التجربة الشعرية لبديوي الجبل بعامة، وهي الخصوصية التي جعلت هذا الشاعر صوتاً متفرداً في كلاسيكية الشعر العربي في القرن العشرين، أياً يكن استيعاؤها للكلاسيكية الشعرية العربية، والذي أجهد بعضهم في إحالته على علامة أو أخرى من العلامات الفارقة في التراث الشعري، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بسرقة البديوي من هنا أو هناك، كما كان الأمر مع المتنبي وسواه، وإنما ذكرنا المتنبي بخاصة لأن كثيرين أيضاً أرادوا أمثلة شعر بديوي الجبل، فوصفوا الشاعر بأنه متنبي القرن العشرين، وهو لا يفتأ يرفض، بحثاً عن الخصوصية.

* * *

لبديوي الجبل قاموسه اللغوي الخاص الذي تترجّع فيه مفردات بعينها، منها: لعس الشفاه، نعمى، لبانة، تأنق، النهد، العطر، آرام، الدراري، المهار، الحيا، عذبات، الصيد، لغوب، سببيب، اللهادم، خود، أريب، دهيا، قليب، الصحاصح، الطوائح، الحسام، الجياد، الضرب، السيف، الطعن، عفت الديار، لغوب، أنضاء، يضغم، شمال، خضيب، الصلاب، الصم، الضراب، القساور، رطاب، الملاب، اللوى، إرنان، الوجناء، الطلاح، العراب، أشر، الراح، القراع، شبا، ويارب، ونعم، غرد، أوام، زق، غواشم، زباد، صعاد، كباد، النور، سدره المنتهى، اللهب القدسي، الجلال...

بخصوصية لعب الشاعر بهاته المفردات، يخرج بها من إهابها الغريب أو الوحشي أو المعجمي أو الحائل، لتتقد بتشكيلاتها الجديدة، فإذا بالطبيعة والمرأة بخاصة في هيئة عتيقة جداً ومعاصرة جداً، يؤول اندغامها إلى سحر شفيف يندر أن يجفو أو ينبو.

تلك هي الطبيعة أولاً، وابتداءً من المطلع الطللي الموروث (قصيدة على أطلال الجزيرة العربية - قصيدة أهوى الشام) إلى شعرنة الطبيعة (قصيدة على أطلال الجزيرة العربية - قصيدة لبنان والغوطتان - قصيدة البلبل الغريب)، ونخص بالإشارة هنا شعرنة البحر والبحيرة (قصيدة الكعبة الزهراء - قصيدة ابتهالات - قصيدة البلبل الغريب).

أما المرأة، وسواء صبح أم لم يصب ما يذكره هاشم عثمان من أن منيرة الكنج كانت الحب الأول للشاعر، ولها كتب قصيدتي (العذراء الخائنة) و(الدمية المحطمة)، أو أن عزيزة هارون (الشاعرة اللانقانية المتوفاة) كانت الحب الأخير للشاعر، ولها كتب قصيدة (شقراء)، أو أنه تعلق أيضاً بمى زيادة وماري يني صاحبة مجلة مينيرفا (الشهرية اللبنانية)^(٢٢). وسواء صبح ذلك أم لا، فالمرأة حاضرة يوماً في شعر بدوي الجبل، يسميها في بواكيره مرة: هند (قصيدة لا تذكر الماضي) ومراراً مى (قصائد: مى في وطنها - أنا وهي - الكتابة الخرساء...) - وقد يكون من المهم هنا أن نشير إلى ما ذكره بدوي الجبل من أنه ضم إلى سيرته الذاتية خمسين رسالة من مى زيادة إليه، دون أن يتحدث عن رسائله هو، وليس علينا إلا أن ننتظر ظهور السيرة التي يؤكد صاحبها أنها ناجزة منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي^(٢٣).

بعد البواكير، وفيما ضم الديوان الثاني من شعر الشاعر، يغيب اسم المرأة، أي اسم، وتحضر الإشارات الجسدية والروحية، فإذا المرأة مرة بسمراء لبنان، ومرة شقراء، ومرة خالقة، ومرة نوراً، وبقدر ما تسري الصوفية في هذا الحضور الأنثوي، بقدر ما يتعين هذا الحضور في نهد بخاصة، وفي شفة وشعر، وفي شهوة وعلاقة. وإلى ذلك فقد قامت المرأة في شعر الشاعر أمماً مرة (قصيدة تكل الأمومة) وابنة مرة (مرثية الشاعر لابنته جهينة)، على أن خصوصية التجربة الشعرية والروحية لبدي الجبل، لا تبين فقط بما كان للطبيعة والمرأة، بل باندغام ذلك بالحزن والموت والطفولة. فمذ الفتوة والصبا والبواكير، يفجؤنا الحزن الطافي واليأس العميم المقيم (قصائد: يا نديمي - لا تحبيني - لا تذكر الماضي - نشوة اليأس) وهو ما يظل يسري في شعر الشاعر حتى النهاية (قصائد: البلب الغريب - آلام - من وحي الهزيمة)، ومن الأخيرة نقراً:

أنا حزنٌ شـخصٌ يروحُ ويغدو ومسائي مع الأسى والبكور

وذلك الفتى الذي انزج بحماسة في صدارة المشهد الشعري وفي حمأة العمل السياسي قبل أن يبلغ العشرين، هو عين الفتى الذي يتراءى الموت في شعره حد الشهوة. ولن يفتأ الموت يزداد حضوراً في شعر البدوي حتى النهاية، وبخاصة كلما فُجع بواحد من رعيه الذي لم تكن تربطه بهم علاقة سياسية وحسب، بل الصداقة أولاً، وهو الرعيل الذي أخذ الزمن يودي به (إبراهيم هنانو - سعد الله الجابري - كامل مروة - رياض الصلح - فارس الخوري - شكري القوتلي ...) فضلاً عن الفجيعة بولديه

الشابيين: عدنان وجهينة. كذلك شغلت القبور والموت والغربة والحنين عُررَ قصائد بدوي الجبل، مثل: غربة الروح - وفاء القبور - مَنْ كسعدٍ - آلام - أين الرعيل من أهل بدر - البلبل الغريب - تكل الأمومة؟

تري، هل لذلك صلة بحضور الطفولة القوي في قصائد البدوي الشيخ؟ لكن هذا الحضور، يأتي متلفعاً يوماً بالغربة والحنين، فهل لذلك أيضاً صلة بما تقدم من شأن الحزن والموت، أم إن ما يتعلق بالغربة والحنين موقوف على فرار الشاعر ونفيه مرة بعد مرة، وأطول وأقسى فأطول وأقسى؟ وأين كل ذلك مما للشأن العام - كيلا نقول السياسة - من حضور في شعر الشاعر؟ هل يمكن - في التجربة الحياتية والروحية والشعرية لبدوي الجبل - عزل ما صدح به ضد الاستبداد والاستعمار، وما صدح به من أجل فلسطين والوحدة والحرية، عما تقدم في الغربة أو الموت أو الحزن أو الحنين أو الطفولة أو العشق الصوفي وغير الصوفي؟

لقد نتأ بعض ذلك في قصيدة، وسواه في قصيدة، لكن النظر في تجربة بدوي الجبل لا يستقيم ولا يتعمق إلا باشتباك الأسئلة جميعاً، وليس آخرها عما قال الشاعر في الالتزام - وهو السياسي المعمر أو عما تعلق من شعره بمقاومة الاستعمار والتجزئة العربية وعسف الحاكم ومأساة فلسطين... فلنقرأ:

١ - "أنا ضد كل تقييد، وأرى (تكبيل) الشاعر نيلاً من قيمة الشعر.. وضد كل أدب توجيهي" (٢٤).

٢ - "أنا لا أتقيد بالقصيدة، بل أترك نفسي على هواها، والجو النفسي هو الذي يؤلف وحدة القصيدة عندي. أما أن أتعمد ديباجة واحدة، أو موضوعاً واحداً، أو فكرة واحدة، أبني عليها قصيدتي، فهذا لا يخطر لي في بال، وأراه نوعاً من الالتزام، وأنا لا أقر الالتزام في الشعر بأية حالة من حالاته" (٢٥).

٣ - "إذا صحَّ للبلبل أو للغدير أو للنسيم أو للنور أن يلتزم، يصح للأديب أن يلتزم، فالأديب يحب أن يبقى حراً طليقاً من كل التزام، وكل مكان فرض فيه الالتزام، نزل من مستوى الأدب. حتى في الأدب العربي القديم، عندما كان الشاعر يبدأ قصيدته غزلاً، كان يطلق ويأتي بالمطرب المعجب، فإذا لجأ إلى المديح - وهو نوع من الالتزام - أسف وهوى" (٢٦).

٤ - "لا واجب للشعر، الشعر حر لا يقيد، أنا ضد الالتزام، الشعر ينبع ينبع من نفس الإنسان" (٢٧).

٥ - إنني لا أقر الالتزام في الشعر ولا في أي نوع من أنواع الفن، إن الالتزام بسيطرة على وجدان الشاعر وعبقريته، ووجدان الشاعر وعبقريته فوق أن يخضع لأي مؤثر على الإطلاق. الشعر كالنور فهل يصح أن يفرض الالتزام على النور؟ ووجدان الشاعر لا يحتاج إلى هذا، إنه سريع التأثير بكل أحداث وطنه، وقد شارك الشعر في معارك الحرية بالوطن العربي نون أن يلزمه ذلك إلا عاطفة نابغة من صميم وجدانه^(٢٨).

ولئن كان في هذه الأقوال ما يترجع فيه صدى النزال مع قول بعينه من الالتزام - هو ما صخب منذ خمسينيات القرن الماضي، متعنوناً بالماركسية والقومية والدين ... - ففي شعر البدوي نفسه ما يصفو من هذا الرجوع والترجيع، ليبقى تعبيراً عما يمور في الأمة، مثلما هو تعبير عما يمور في الفرد.

* * *

في مقام آخر ذكرت أنني شاهدت بدوي الجبل مرتين، أولاهما في بيت قريب من بيت جدي في قريتي (البودي) عام ١٩٥٤ كنت في التاسعة وكان البدوي مع مرشحين آخرين في جولة انتخابية برلمانية في القرى الجبلية، أما المشاهدة الثانية، فكانت في موكب عودته من المنفى أيام الانفصال^(٢٩)، ولقد نشأت على التوله بشعر بدوي الجبل وعلى إجلال الشاعر، منذ الصغر، عندما أقرأني إياه جدي وفرض علي حفظ بعضه، بيد أنني في شبابي الميم يساراً رحت أنظر إلى بدوي الجبل كخصم سياسي، ولذلك لم أسع إلى لقائه يوماً، وحين كتبت روايتي (هزائم مبكرة - ١٩٨٥) عدت فيها إلى ذلك الشطر من حياتي، ورسمت صورة منفرة للزعيم الشاعر الذي ما عنيت به إلا بدوي الجبل.

واليوم أفكر في أن ما جعلني ألتحق فيما سلف، هو أسئلة المدونة التاريخية التي اشتغلت عليها، وأنا أعد لكتابة رواية (مدارات الشرق): أسئلة النصف الأول من القرن العشرين على إيقاع نصفه الثاني، وبخاصة على إيقاع ريعه الأخير، واليوم أفكر أيضاً في أن ذلك التدقيق على هذا الإيقاع المتواصل، هو ما جعلني أكتب في أمس قريب^(٢٩)، عن هذا الشاعر المنكود بالطغيان والجحود، وكل ذلك ليس ببعيد عما تعللت به لهذه المنتخبات.

لقد مات السياسي، وبقي الشاعر والشعر، لتبقى القيم الرفيعة التي نحتاجها دوماً، والآن أضعافاً، ومنها قيمة الاختلاف مع الشاعر وفي الشعر، ومنها أيضاً الوفاء وتواصل الأجيال وتلاحقها، ومنها التجاوز والنبالة في الصراع.. وماذا أيضاً؟

نبيل سليمان

البودي - ٢٠٠١

الهوامش

- (١) جريدة الأنوار ١٤/٣/١٩٧٢ - بيروت.
- (٢) ومن شعرها إثر تجزئة سورية إلى دويلات وانطلاق الثورات المتأدية بوحدة البلاد، إبان الاستعمار الفرنسي ١٩٢٠ - ١٩٤٥:
- يا بلاداً أعدتْ عليها العوادي وألستْ بجوها الأرزاءُ
لا أقولُ الدخيلُ قد مزقَ الشما من بنوها والفاصبون سواءُ
ومن وجدانياتها:
- سقى البانة الخضراء مستعذبُ الحيا ورانَ مغاني الرقمتين ربيعُ
لعلَّ ليالينا تجودُ برجة فتلتام أكبادُ بهن صددوعُ
- أما أحمد سليمان الأحمد فقد كتب الشعر الحديث مثلما كتب الشعر العمودي، ومن أعماله: (أغان صيفية) و (الكلمة للشمس والشهيد)، والمسرحيتان الشعريتان (المأمونية) و (مم وزين)، ومن الدراسات التي خلفها: (الشعر العربي والقضية الفلسطينية من النكبة إلى النكسة).
- (٣) مجلة مواقف، العدد ١٧ - ١٨ لعام ١٩٧١، بيروت.
- (٤) العدد الأول، تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٣ - تونس.
- (٥) يؤكد الشاعر تأثره بما نشرت (ألف باء) تحت عنوان (صلاة) لمحاظ مدينة كورك الإيرلندية: (ماك سويني) الذي أضرب عن الطعام حتى الموت إثر سجن الإنكليز له. وقصيدة البندوي ظهرت تحت عنوان (صلاة الصائم المائت) في (ألف باء) بتاريخ ٤/١١/١٩٢٠، بحسب هاشم عثمان الذي يذكر أن الشاعر نشر قبل ذلك في الجريدة نفسها، ثلاث قصائد مذيلة باللقب نفسه، ومنها، وبحسب عثمان يوماً، قصيدة (سعد والكنانة: ١٠/١٩٢٠) وقصيدة حاكم كورك (ماك سويني: ١٥/١٠/١٩٢٠)، ثم يعود عثمان ويذكر أن الأخيرة نشرت في ١٠/١٩٢٠، كما يذكر أن قصيدة (صلاة الصائم المائت) قد ظهرت في ديوان الشاعر بعنوان (فترقبوا الغارات من أيتامها) مع أن القصيدة التي تحمل هذا العنوان مذيلة بتاريخ ١٩٢٤، كما أن قصيدة (ماك سويني) في الديوان مذيلة بتاريخ ١٩٢١، ومروسة بما يؤكد أنها المعنى بقصيدة (صلاة الصائم المائت). انظر هاشم عثمان: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، منشورات رياض الريس، بيروت ١٩٩٨، ص ١٣٥ - ١٥٩، وانظر ديوان بدوي الجبل، دار العودة، الطبعة الأولى ١٩٧٨، بيروت ص ٤٤٩ - ٥٢٦.
- (٦) ص ٢٤٩، مذكور.
- (٧) نفسه، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
- (٨) الدار العالمية، بيروت ١٩٩٥، ص ٣٢١ - ٣٢٤.
- (٩) نقلاً عن هاشم عثمان في: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، مذكور، ويبدو أن المؤلف سها عن أن عزل البندوي ووزارة الجندي كانتا بعد عام ١٩٦٣، بينما أحال هاشم رقم ١٣ ص ٧٦ على عدد تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٢ من مجلة الأديب.

- (١٠) مجلة الفكر، مذكور.
- (١١) انظر حوار مع جريدة الثورة ١٣/١١/١٩٧١، دمشق.
- (١٢) كتاب هاشم عثمان: بدوي الجبل آثار وقصائد مجهولة، مذكور، وفيه أيضاً مقابلات بدوي الجبل الصحافية، وبعض نشره في الخطابة والرسالة والمقالة...
- (١٣) مجلة ميثرفا، العدد ١، السنة ٢، ١٥/٤/١٩٢٤
- (١٤) مجلة الآداب، العدد ٨، آب - أغسطس ١٩٥٣
- (١٥) مجلة مواقف، مذكور.
- (١٦) مجلة ألوان ٣/١٠/١٩٦٢، دمشق.
- (١٧) مجلة الفكر، مذكور.
- (١٨) جريدة الثورة، مذكور.
- (١٩) من حوار عيسى فتوح مع مجلة المضحك المبكي، حزيران - يونيو ١٩٦٥، دمشق.
- (٢٠) من حوار رياض فاخوري مع مجلة الصياد ٥/٨/١٩٧١، بيروت.
- (٢١) مجلة مواقف، مذكور.
- (٢٢) هاشم عثمان: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، ص ٨٠/٧٩، مذكور.
- (٢٣) جريدة الثورة، مذكور.
- (٢٤) مجلة المضحك المبكي، مذكور.
- (٢٥) مجلة مواقف، مذكور.
- (٢٦) مجلة ألوان، مذكور.
- (٢٧) مجلة الصياد، مذكور.
- (٢٨) مجلة الفكر، مذكور.
- (٢٩) نبيل سليمان: الكتابة والاستجابة، اتحاد كتاب العرب ٢٠٠٠، الفصل الثامن.

المنتخبات

الكعبة الزهراء

مهداة إلى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه

بنور على أم القرى وبطبيب
غسلت فؤادي من أسي ولهيب
لثمت الثرى سبعا وكحلت مقلتي
بحسن كأسرار السماء مهيب
وفي الكعبة الزهراء زينت لوعتي
وعطر أبواب السماء نحبي
ولي غفوة في كل ظل لقيته
ووقفه سقيا عند كل قلب
وتعطفني الآرام فيها نوافرا
إلى رشاً في الغوطتين زبيب
أشم الرمال السمر في كل حفنة
من الرمل، دنيا من هوى وطوب
توحدت بالصحراء حتى مغيبها
ومشهدها من مشهدي ومغربي

ومن هذه الصحراء أنوارٌ مُرسِل
 وراياتٌ منصُورٍ وِبدعٌ خطيب
 ومن هذه الصحراء شِعْرٌ تبرجت
 به كل سكرى بالدلالِ عروب
 تُعطّرُ في أنغامِهِ ورحيقِهِ
 وريّاه: عطريّ مبسمٍ وسبب
 ترشُ النجومُ النورَ فيها مُستَكّا
 فَأترعُ أحلامي وأهرقُ كوبي
 وما أكرمَ الصحراءَ تصدى. ونمت
 لنا بُردٌ ظلٍ كالنعيمِ رطيب
 ويغفو بها التاريخُ، حتى ترجه
 بداهية صُلبِ القنّاةِ أريب
 شكّا الدهرَ بما أتعبته رمالُها
 ولم تشكُ فيه من ونى ولُغوب
 وصبرٍ من الصحراءِ أحكمتُ نسجهُ
 سسموتُ به عن محنتي وكروبي
 ومن هذه الصحراءِ صيغتُ سيجتي
 فكلُّ عجبٍ الدهرِ غيرُ عجب
 يرنحُ شمعي باللوى كلّ بانه
 ويندى بشمعي فيه كلُّ نسب

ولولا الجراحُ الدامياتُ بمهجتي
 لأسكرُ نَجْدًا والحجازَ نسيبي
 أفي كلِّ يومٍ لوعةٌ بعد لوعة
 لغربة أهْلٍ أو لفقدِ حبيبٍ
 يا ربِّ: في قلبي ندوبٌ جديدةٌ
 تريدُ القرى من سالفاتِ ندوبٍ
 يريدُ حسابي ظالمٌ بعد ظالمٍ
 وما غيرُ جبارِ السماءِ حسيبي
 يا ربِّ: صنُّ بالحبِّ قومي مؤلفًا
 شتاتِ قلوبٍ لا شتاتِ دروبٍ
 وكلُّ بعيدٍ حجٌّ للبيتِ أو هفا
 إليه - وإن شطَّ المزارُ - قريبي
 وآمنتُ أن الحبَّ خيرٌ ونعممةٌ
 ولا خيرَ عندي في غيٍّ وحروبٍ
 وكلُّ خضيبِ الكفِّ فتحًا وصولةً
 فداءٌ لكفِّ بالعبييرِ خضيبٍ
 وآمنتُ أن الحبَّ والنورَ واحدٌ
 ويكفِّرُ بالألاءِ كلُّ قريبٍ
 وأيُّ ذنوبٍ ليس تُمحي لشاعرٍ
 معنًى بالتوانِ الجمالِ طروبٍ
 صفاءٌ على اسمِ الله غيرٍ مكرَّرٍ
 وحبٌّ لذاتِ الله غيرٍ مشبوبٍ

* * *

تدفقت الأمواج والليل كإفر
وهب جنون الريح كل هبوب
رمى اليم أنضاء السفين بمارد
من اليم تياه الحتوف غضوب
يزلزلها يمني ويسرى مزمجراً
ويضغمها من هوليه بنيوب
يرقصها حيناً وحيناً يرجها
ويوجز حالي هداة ووثوب
وترفعها عجلي وعجلي تحطها
لعوب من الأمواج جد لعوب
وأيقن أنضاء السفينة بالردى
يطالعهم في جيشة وذهب
ولما استطال اليأس يكسو وجوههم
بألوانه من صفرة وشحوب
دعوا يا أبا الزهراء والحتف زاحف
عليهم: لقد وققتهم بمجيب
وأسلست الريح القياد كأنها
نسيم هفا من شمال وجنوب
* * *

جلوتُ على وادي العقيقِ فريدتي
فَفازَ حسيبٌ منهما بحسيبِ
تتيهُ حضاراتُ الشعوبِ بشاعرِ
وتكملُ أسبابُ العلى بأديبِ

ابتهالات

مهداة إلى قبور حبيبة في بغداد وبمشق وحلب وحمص واللاذقية

جنيف في ٢٢ شباط - فبراير ١٩٦٤

بينني وبين الله من ثقتي
بلطف الله باب
يا رب: بأبوك لا يرد
اللائذين به حجاب
مفتاحه بيدي يقين
لا يلهم به ارتياب
وإذا سألت عن الذنوب
فإن أدمعي الجواب
أنت المرجى لا تُسأخ
بغير ساحتك الركاب
أنا من بحارك قطرة
مما تملأه الرباب
أنا لا أطيل إذا ابتهلت
وقد تحدثني الصعاب

لأشـتـكـي وبـهـجـتـنـي
ظُفُـرٌ يـمـزُقُها ونـابٌ
مَسَحَ الحـيـاءُ عـلـى الدـمـوعِ
وأكـرمَ الشـسـتـكـوى اقـتـضـابٌ
تـكـفـي بـيـابـكَ وقـفـةٌ
وأسـى تـجـمّلَ واكـتـئـابٌ

تحنو الدموع على القبور*

لا الغوطتان ولا الشسبابُ أدعو هوأيَ فلا أجابُ
أين الشكَّامُ من البحيرة والمساذنُ والقبابُ
وقبورُ إخوانسي وما أبقى من السيف الضرابُ
الصامتاتُ وللطبيور على مشارفها اصطخابُ
الغافياتُ فلم تُرغَ منها الزمـاجرُ والوثابُ
أشـتاقُ أحضنـها وألثمها وللدمع انكسابُ
تحنو الدموعُ على القبور فتورق الصم الصلابُ
ولهـا إلـنا لهفـةً ولطـول غـربـتنا انتحابُ
الكبرُ عندي للعظيم
إذا تكبَّـر لا العتـابُ
عندي لـه زهـدٌ يـدلُّ على الكواكبِ واجتنابُ
أنـا كالمسـافر لاح لي
أيكٌ وأغرتنـي قـبـابُ
وتفتحتُ حولي الرياضُ الخضـرُ واصطفق العبابُ
ووثقتُ أنَّ النهـر ملكُ
يدي ففـاجـأني السـرابُ

* من قصيدة ابتهالات .

بحيرة جنيف*

أشتاقُ شمسَكَ والضحى
أنا والبحيرة والضبَابُ
ومضفّراتُ بالثلوج كأنّما نَصَل الخضابُ
تعوي الرياحُ فيما القسيّاورُ في الفلّاة وما الذئبابُ
والثلجُ جَنّ فلم تبين
سبيلٌ ولم تُعرفْ شعابُ
أخفى المعالمَ لا السفوحُ هي السفوح ولا الهضابُ
يا شمسُ غبتِ فكيف تم - ولا طلوعُ لك - الغيابُ
إن كنتِ مسكّمة الهوى
فتألقي؛ رُفَعَ الحجابُ
ملّ السحابُ من السماء وقر في الأرض السحابُ
وكانَ مِلءُ الأرض مِلءَ الأفقِ آلهةُ غضابُ
حسنُ يهابُ وما سبما
حُسْنٌ يُحبُّ ولا يهابُ

* * *

دوحَ البحيرة أين سَامرُكَ المعطرُ والشرابُ
والراقصونَ ونوا فحين دعاهم النغمُ استجابوا
والقاطنونَ شفاههم كوردهم حمير رطابُ

* من قصيدة ابتهالات .

ثَغَرٌ عَلَى ثَغَرٍ، تَسْرَبُ فِيهِ فَاخْتَلَطَ الرُّضَابُ
قُبُلٌ أَغَارِيضُ الشَّفَاهِ فَتُسْتَعَادُ وَتُسْتَطَابُ
نَعِمَ الْمَلَائِكُ بِالشَّيْبَابِ فَمِمَّا لَنَعْمَتِهِ اسْتَلَابُ

تراب الشام*

يا شامُ: يا لِسدةَ الخلودِ وضمَّ مجدَكُما انتسابُ
من لي بنزر من ثــــراكِ وقــــد ألحَّ بي اغترابُ
فأشــــمُّه وكأنه لَعــــسُ النواهدِ والمــــلابُ
وأضــــمُّه فتــــرى الجواهرَ كيف يُكــــتَنزُ التــــرابُ
هذا الأديــــمُ شــــمائلُ غــــرٍّ وأحــــلامُ عــــذابُ
وأموــــمةٌ وطفولــــةٌ ورؤى كــــما عــــبرَ الشــــهابُ
وتحــــيةٌ مســــكِيَّةٌ من ســــالفينَ هــــووا وغــــابوا
ومن الأبــــوَّةِ والجــــدودِ لأهــــلٍ ودهمُ خطــــابُ
هــــذا الأديــــمُ أبــــي وأمــــي والبدايــــةُ والمــــسآبُ
ووســــائــــدي وقلائــــدي ودمى الطفولــــةِ والســــخابُ
وددُّ يــــاعُ لــــه الوقــــارُ ولا ندامــــةٌ والصــــوابُ
أغلى عــــلَيَّ من النجــــومِ ولا ألامُ ولا أعــــابُ
الروح من غيبِ الســــماءِ ومنك قد نــــسجَ الإهــــابُ

* من قصيدة ابتهالات .

متى الإياب؟*

يا شامُ عطيرُ سريرتي
حبُّ لجمرتِه التَهْسابُ
أنتِ اللبَّانةُ في الجوانحِ لا النِّوارُ ولا الربابُ
يعينا بحقِّك من يسسوفه ولا يعينا الطِّلابُ
غالبتُ أشواقِي إليك
ويُضرمُ الشوقُ الغلابُ
أنا طيرُك الشادي وللأنغامِ من كبدي انسرابُ
أنا والربيعُ مشردانِ
وللشِّبْذِ معنا ذهابُ
لا الأيكُ بعدَ غيَابِنَا
غَرْدُ الطيِّوبِ ولا الربابُ
والنورُ يسألُ والخمائلُ
والجمالُ: متى الإيابُ؟

* من قصيدة ابتهالات .

إِنِّي لَأَنْشَمَتُ بِالْجَبَارِ

يَا سَامِرَ الْحَيِّ هَلْ تَعْنِيكَ شَكْوَانَا
رَقَّ الْحَدِيدُ وَمَا رُقُّوا لِبَلْوَانَا
خَلَّ الْعِتَابَ دُمُوعًا لَا غَنَاءَ بِهَا
وَعَاتِبَ الْقَوْمَ أَشْلَاءَ وَنِيرَانَا
أَمَنْتُ بِالْحَقِّدِ يَذْكِي مِنْ عَزَائِمِنَا
وَأَبْعَدَ اللَّهَ إِشْفَاءً وَتَحْنَانَا
وَيْلَ الشُّعُوبِ الَّتِي لَمْ تَسْقِ مِنْ دَمِهَا
ثَارَاتِهَا الْحُمْرَ أَحْقَادًا وَأَضْغَانَا
تُغْضِي عَلَى الذِّلِّ غُفْرَانًا لظَالِمِهَا
تَأْتِقُ الذِّلَّ حَتَّى صَارَ غُفْرَانَا
أَمَّا الشَّامُ فَلَمْ تَبْقِ الْخُطُوبُ بِهَا
رَوْحًا أَحَبَّ مِنَ النُّعْمَى وَرِيحَانَا
أَلَمْ وَاللَّيْلُ قَدْ أَرْخَى ذَوَائِبَهُ
طَيْفٌ مِنَ الشَّامِ حَيَّانَا فَأَحْيَانَا
حَنَا عَلَيْنَا ظِمَاءٌ فِي مَنَاهِلِنَا
فَأَتْرَعُ الْكَأْسَ بِالذِّكْرِى وَعَاطَانَا

تَنْضُرُ الْوَرْدَ وَالرَّيْحَانَ أَدْمُعُنَا
وَتَسْكُبُ الْعِطْرَ وَالصَّهْبَاءَ نَجْوَانَا
السَّامِرُ الْحُلُوقَ قَدْ مَرَّ الزَّمَانُ بِهِ
فَمَزَّقَ الشَّمْلَ سُمَارًا وَنَدْمَانَا
قَدْ هَانَ مَنْ عَهْدَهَا مَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ
هَوَى الْأَحْبَبَةِ فِي بَغْدَادَ لَا هَانَا
فَمَنْ رَأَى بِنْتَ مَرْوَانَ انْحَنَتْ تَعَبًا
مِنَ السَّلَاسِلِ يَرْحَمُ بِنْتَ مَرْوَانَا
أَحْنُو عَلَى جُرْحِهَا الدَّامِي وَأَمْسَحْهُ
عِطْرًا تَطِيبُ بِهِ الدُّنْيَا وَإِيمَانَا

قُلْ لِلأُلَى اسْتَغْبِدُوا الدُّنْيَا لَسَيَفِهِمْ
مَنْ قَسَمَ النَّاسَ أَخْرَارًا وَعُبْدَانَا
إِنِّي لَأَشْمَتُ بِالْجَبَّارِ بِضَرَعِهِ
طَاغَ وَيُرْهَقُهُ ظُلْمًا وَطُغْيَانَا
لَعَلَّهُ تَبَعْتُ الْأَحْزَانَ رَحِمَتِهِ
فَيُصْبِحُ الْوَحْشُ فِي بُرْدِيهِ إِنْسَانَا
وَالْحُزْنُ فِي النَّفْسِ نَبْعٌ لَا يَمُرُّ بِهِ
صَادَ مِنَ النَّفْسِ إِلَّا عَادَ رِيَانَا
وَالْخَيْرُ فِي الْكُونِ لَوْ عَرِيتَ جَوْهَرُهُ
رَأَيْتَهُ أَدْمَعًا حَرَّى وَأَحْزَانَا

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوَ فَاتِحِهَا
 هَلَّا تَذَكَّرْتَ يَا بَارِيسُ شَكْوَانَا^(١)
 وَالْخَيْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ جَائِلَةٌ
 عَلَى الْمُصَلِّينَ أَشْيَاخًا وَفُتَيَانًا
 وَالْآمِنِينَ أَفَاقُوا وَالْقُصُورُ لَظَى
 تَهْوِي بِهَا النَّارُ بُيَانًا فَبُيَانًا
 رَمَى بِهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي^(٢) مُجَلَّجَةً
 كَالْعَارِضِ الْجَوْنِ تَهْدَارًا وَتَهْتَانًا
 عِشْرِينَ عَامًا شَرِبْنَا الْكَأْسَ مُتْرَعَةً
 مِنْ الْأَذَى فَتَمَلَّيْ صِرْفَهَا الْآنَا
 مَا لِلطَّوَاغِيتِ فِي بَارِيسَ قَدْ مَسَخُوا
 عَلَيَّ الْأَرَائِكِ خُدَامًا وَأَعْوَانًا
 اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْكُونُ أَجْمَعُهُ
 لِلَّهِ لَا لَكَ تَذْبِيرًا وَسُلْطَانًا
 ضَغِينَةٌ تَتَزَّى فِي جَوَانِحِنَا
 مَا كَانَ أَغْنَاكُمْ عَنْهَا وَأَغْنَانَا

* * *

يَا صَاحِبَ النَّصْرِ فِي الْهَيْجَاءِ كَيْفَ غَدَا
 نَصْرُ الْمَعَارِكِ عِنْدَ السَّلَامِ خِذْلَانَا^(٣)

١- بسقوط باريس في يد الألمان في الحرب (العالمية الثانية).

٢- الجنرال ساراي يوم ضرب دمشق بالدافع.

٣- يشير الشاعر بهذه الأبيات الثلاثة لنكث الإنكليز عهودهم للملك الهاشمي بالحرية والوحدة بعد نهاية الحرب.

تَرى السِّيَاسَةَ لَوْنًا وَاحِدًا وَيَرى
لَهَا حَلِيفُكَ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا
لَا تَسْأَلِ الْقَوْمَ أَيْمَانُنَا مُزَوَّقَةً
فَقَدْ عَيْنَانَا بِهِمْ عَهْدًا وَأَيْمَانًا
أَكْرَمْتَ مَجْدَكَ عَنْ عَثَبِ هَمَمْتُ بِهِ
لَوْ شِئْتُ أَوْسَعْتُهُ جَهْرًا وَتَبْيَانًا^(٤)

* * *

مَا لِلسَّفِينَةِ لَمْ تَرْفَعْ مَرَاسِيَهَا
أَلَمْ تَهَيِّئْ لَهَا الْأَقْدَارُ رَبَّانًا
شُقِّي الْعَوَاصِفَ وَالظُّلُمَاءَ جَارِيَةً
بِاسْمِ الْجَزِيرَةِ مَجْرَانًا وَمُرْسَانًا
ضُمِّي الْأَعَارِيبَ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ
إِنِّي لِأَلْمَحُ خَلْفَ الْغَيْمِ طُوفَانًا
يَا مَنْ يُدِلُّ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ
نَظَارٍ تَطْلَعُ عَلَى الدُّنْيَا سَرَآيَانًا

* * *

(١٩٤١)

٤ - يتنسب الشاعر هنا بالوحدة ويقام جيش عربي، ولقد قامت هذه الجيوش ولكنها لم تستطع أن تحرر فلسطين .

يُعْطِي الشَّهِيدُ فَلَا وَاللَّهِ مَا شَهِدْتُ*

أَزْكَى مِنَ الطَّيِّبِ رِيحَانًا وَغَالِيَةً
مَا سَأَلَ مِنْ دَمٍ قَتَلْنَا وَجَرَحْنَا
هَلْ فِي الشَّامِ وَهَلْ فِي الْقُدْسِ وَالْدَّةُ
لَا تَشْتَكِي الشُّكْلَ إِعْوَالًا وَإِرْنَانًا
تِلْكَ الْقُبُورُ فَلَوْ أَنِّي أَلَمْتُ بِهِمَا
لَمْ تَعُدْ عَيْنَايَ أَحِبَابًا وَإِخْوَانًا
يُعْطِي الشَّهِيدُ فَلَا وَاللَّهِ مَا شَهِدْتُ
عَيْنِي كإِحْسَانِهِ فِي الْقَوْمِ إِحْسَانًا
وَعَايَةُ الْجُودِ أَنْ يُسْقِيَ الشَّرَى دَمَهُ
عِنْدَ الْكَفَّاحِ وَيُلْقَى اللَّهُ ظِمَانًا

* من قصيدة : (إني لأشمت بالجبار).

اللاذقية*

يا راكبَ الوجناء^(١) أحمَلْ عهدُها
إيلًا ظمأً في الفلاة طلاحا
مرت كلامعة البروق فهجّنت
غرر العراب الشقر والأوضاحا
لا تعدُّ عند اللاذقية شاطئاً
غزلاً كضاحكة الصبا ممراحا
نديان من أشِر الصُّببا وجنونه
طلق الفتون مجانةً ومزاحا
بالله إن كحلت جفونك موجه
ضم الشراع وقبيل الملاحا
واسرق من الكنز المقدس مغرباً
حلوا الأصيل ومشرقاً لماحا
وأُنزل على خير الأبوة رحمة^(٢)
تسع الحياة وعفة وصلاحا
والثم أحبتي الصغار^(٣) ورفها
غرراً نواعم كالورود صباحا

* من قصيدة (دمعة على الشام) التي كتبها الشاعر وهو لاجئ في بغداد عام ١٩٤١، وتبدأ بتحية رشيد عالي الكيلاني:

حي الرئيس إذا نزلت بساحه رُحياً تهلل للوفود فساحا

١ - يراد بها: السيارة.

٢ - يشير إلى والده وقد فارقه مريضاً.

٣ - يشير إلى أطفاله.

عيد الجلاء ١٩٤٦

الزَّغَارِيدُ فَقَدْ جُنَّ الْإِبَاءُ
مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ هَذِي الْكَبْرِيَاءُ
جَمْرَةُ الْحَقِّ فَسُبْحَانَ الَّذِي
صَاغَ هَذَا الْجَمْرَ مِنْ ظِلٍّ وَمَاءِ
الْأَدِيمِ السَّامِعِ عَطْرُ وَرَوَى
رَبُّمَا أَغْفَى عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ
وَعَلَى كُلِّ مَكَانٍ جَدَّةُ
تَأْسَّرُ الْعَيْنُ وَنُعْمَى وَرَوَاءُ
خَالَفَ الْمَشْهَدُ فِيهَا جَارَهُ
فَلَدَاتُ الْحُسْنِ شَتَّى غُرَبَاءُ
كُلُّ حُسْنٍ بِدَعَةٍ مُفْرَدَةٍ
لَيْسَ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْحُسْنِ إِخَاءُ
أَيُّهَا الدُّنْيَا ارْشُفِي مِنْ كَأْسِنَا
إِنَّ عِطْرَ الشَّامِ مِنْ عِطْرِ السَّمَاءِ
شُهُدَاءُ الْحَقِّ فِي جَنَّتِهِمْ
هَزَمَ لِّلشَّامِ وَجْدٌ وَوَفَاءُ
تَضْحَكُ (الرَّبْوَةُ) فِي أَحْلَامِهِمْ
هَلْ عَنِ الرَّبْوَةِ فِي عَذَنِ غَنَاءُ

كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَابًا مِنْ (دُمُر)
رَنَحَ الْجَنَّةَ طِيبٌ وَغِنَاءُ
وَاعْذِرُوا عَدْنًا عَلَى غَيْرَتِهَا
إِنِّهَا وَالشَّيْءُ فِي الْحُسْنِ سَوَاءُ
يَا فَلَسْطِينَ هَوَى مُسْتَعْرِ
مَنْ رَبِّي الشَّيْءُ وَنَصْرٌ وَوَلَاءُ
وَتَحِيَّاتُ الرِّضَى مِنْ دَجَلَةٍ
وَسَلَامُ اللَّهِ مِنْ غَارِ حِرَاءِ
الْيَهُودِ اسْتَأْسَدُوا فِيكَ فَمِنْ
جَرَأِ الضَّعْفِ وَأَشْلَى الضُّعْفَاءِ^(١)
هَانَ عَنْ شَكْوَايَ عَبْدَانَ الْعَصَا
أَنَا أَشْكُو مِنْ عُهُودِ الْحَلَفَاءِ
يَا رَبِّي الْقُدُسِ وَمَا أَنْدَى الرَّبِّي
دَمْنَا فِيهَا رَيْعٌ وَنَمَاءُ
اتَّزَعْنَا الْمَلِكَ مِنْ غَاصِبِهِ
وَكَتَبْنَا بِالْذَّمِّ الْغَمْرَ الْجَلَاءُ
الرَّبِّي فِي مَيْسَلُونَ اسْتَعْبِرَتْ
أَيْنَ دَمْعِ الْحُزْنِ مِنْ دَمْعِ الْهَنَاءِ
أَقْبَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا تَائِبًا
وَعَفَا يَوْسُفَ^(٢) عَنْ جَوْرِ الْقَضَاءِ
حَقُّ يَوْمِ الشَّيْءِ أَنْ تَكْتُبَهُ
قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَى وَجْهِهِ ذُكَاءُ

١ - هذه الأبيات قبل قيام دولة إسرائيل فماذا نقول الآن ؟

٢ - الشهيد يوسف العظمة .

بدعةُ الذلِّ

إلى روح إبراهيم هنانو

بدعةُ الذلِّ حين لا يذكُرُ الإنبـ
سانُ في الشام أنه إنسانُ
بدعةُ الذلِّ أن يُصاغَ من الـ
فردِ إلهٍ مهيمٍ ديانُ
يا لها دولةٌ تعاقبُ فيها
كالجنسيةِ العقولُ والأذهانُ
أين حرיתי فلم يبقَ حراً
من جهيرِ النداءِ إلا الأذانُ
سببُ الدهرِ أن يحاسبَ فكرُ
في هوانٍ وأن يفكَّ لسانُ
يعثرُ الدهرُ والشعوبُ وتشقى
بالمنيا كيرِ أمةٍ وزمانُ
كتبَ المجدُ ما اشتهتْ غررُ المجدِ
ونحنُ الكتَّابُ والعنوانُ
نحنُ تاريخُ هذه الأمةِ الفخمِ
ونحنُ المكبرانُ والسكانُ
من غوالي دموعنا الخمرِ والعطرِ
ونعمى دمائنا الأرجوانُ

١٩٥٠/١١/٢٤

أنا أبكي لكلِّ قيدٍ*

يعرفُ الفجرُ أنْ دمعيَ أصْفى
من نَسْداهُ ويعرفُ الرِّيحُ أنَّ
هَبَ نديِ الفجرِ كالدمعِ صَفَاءُ
أينَ منه البلوى وأينَ الحنَّانُ
يعرفُ الطيبُ أنَّ دمعيَ أذكى
منه عطراً وتعرفُ الأردنُّ
تعرفُ الراحُ أنَّ دمعيَ سَلافُ
وجفوني كؤوسُها والدنانُ
أنا أبكي لليلِ أوحشهُ البدرُ
وللقلبِ هِدَّةُ الحرمِ أنَّ
أنا أبكي لكلِّ طاغٍ فما يسترُ
إلا الضَّراعةَ الطغيانُ
أنا أبكي لكلِّ قيدٍ فأبكي
لقَرِيضِي تَغْلُثُهُ الأوزانُ
أدمعي من السَّماءِ أنجمُها
الزُّهرُ وفي البحرِ درهُ والجمانُ

* من قصيدة (بدعة الذل).

يا وزيراً يُطلُّ بعد وزير*

يا وزيراً يُطلُّ بعد وزير
والعلی فی ركبیه والزمـانُ
ربُّ نَعْمَى تَضِيعُ مِنَّا إِذَا
زرتَ ولا ضجّةٌ ولا ديدبانُ
وَإِذَا فُتَّ أَعْيَنَ النَّاسَ دَلًّا
فَلَمَنْ صَاغَ حُسْنُكَ الرَّحْمَنُ؟
أَيُّ بَدْعٍ فِي الْمَهْرَجَانَاتِ يُصْنَعْنَ
فَاحْشِ الْمَتَوَجِّجَ الْمَهْرَجَانُ
وَلِمَنْ تُحْشَدُ الْجُمُوعُ، فَهَلْ زَارَ
وَلَايَاتِ مُلْكِهِ الْخَاقِانُ
لَكُمْ لَا لِقِصْرِ أَوْ لِكُسْرَى
رُصِّعَ التَّاجُ وَازْدَهَى الْإِيوَانُ
وَكَفَى هَذِهِ الرِّعِيَّةَ عِزًّا
أَنَّهُمَا فِي رَحَابِكُمْ ضَيْفَانُ

* من قصيدة (بدعة الذل).

جَلَوْنَا الْفَاتِحِينَ

تَمْنَى الرُّكْبُ وَجْهَكَ وَالصَّبَّاحَا
فَجَنُّ اللَّيْلِ مِنْ فَجْرَيْنِ لَاحَا
بَطَاحُ الْقُدْسِ دَنَسِيهَا مُغِيرٌ
فَهَلْ صَانَتْ كِتَائِبُنَا الْبَطَاحَا؟
وَلَمْ نَغْضِبْ لَهَا أَيَّامَ كَانَتْ
حَمَى نَهْبًا وَشَعْبًا مُسْتَبَاحَا
نُجَابَهُ بِالْيَهُودِ دَمًا وَنَارًا
فَنُغْضِي لَا إِبَاءَ وَلَا طِمَاحَا

جَلَوْنَا الْفَاتِحِينَ فَلَا غُدُوًّا
نَرَى لِلْفَاتِحِينَ وَلَا رَوَاحَا
وَتَعْرِفُ هَذِهِ الْحَصْبَاءُ مِنَّا
دَمًّا سَكَبًا وَهَامَاتٍ وَرَاحَا
فَلَا حُرْمَ الشَّهِيدِ بِرَوْضِ عَدْنٍ
عَلَى بَرْدَى غَبُوقًا وَاصْطِبَاحَا

نَمُ بِقَلْبِي

في نكرى المغفور له الزعيم سعد الله الجابري

أَدْمُوعًا تُرِيدُهُمَا أَمْ رَحِيقًا
لَا وَنُغْمَاكَ مَا عَرَفْتُ الْعُقُوقًا
تَجَلَّى عِنْدَ الْمَغِيبِ لَعَيْنِي
ضِيَاءٌ عَذَبَ الْحَنَانِ رَفِيقًا
وَجَلَاكَ الشُّرُوقُ حَتَّى تَبَيَّنَتْ
مُحْيَاكَ فَاحْتَضَنْتُ الشُّرُوقًا
نَمُ بِقَلْبِي وَلَوْ قَدَرْتُ مَنَعْتُ
قَلْبَ حَتَّى تَقَرَّ فِيهِ الْخُفُوقًا
إِنَّ قَلْبِي خَمِيلَةٌ تُنَبِّتُ الْأَحْزَانَ
وَرَدًا وَنَرَجَسًا وَشَقِيقًا
أَنَا وَالْهَمُّ كُلَّمَا أَقْبَلَ الْهَمُّ
مَشُوقٌ يَلْقَى أَخَاهُ الْمَشُوقًا
أَيُّهَا النَّاعِمَانِ فِي الْغَفْوَةِ النَّشْوَى
أَفِيقَا عَلَى الصَّبَاحِ أَفِيقَا

سَكِرَ الشَّعْرُ مِنْ سُلَافِي*

سَكِرَ الشَّعْرُ مِنْ سُلَافِي وَعَبَّتْ
مِنْ دَنَانِي فَجَنَّتِ الْمُسِيْقَا
وَحَدَّتِي عَالَمٌ مِنَ السُّحْرِ وَالْفِتْنَةِ
حَلَوِ الْقَطَافِ خَمْرًا وَرِيقَا
وَأَدِيمٌ يَغْفُو ثَرَاهُ عَلَى الْعَطَرِ
وَيُغْرِيسُهُ عَنَبْرًا مَسْنُوحَا
طُفْ بِقَلْبِي تَجِدْ بِهِ أَلْفَ دُنْيَا
لَا يُلَاقِي الشَّقِيقُ فِيهَا الشَّقِيقَا
سَكَّتَهُ الشُّمُوسُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ
وَتَحْدَى أَشْتَاتَاهَا أَنْ يَضِيقَا
حَفِي الْفِكْرُ فِي عَوَالِمِهَا الْفِيحِ
وَلَمْ يَبْلُغِ الْمَكَانَ السَّحِيحَا
كُلُّ أَفْقٍ تَضِيقُ فِيهِ أَسِيرًا
سَمِعَةُ الْأَفْقِ أَنْ تَكُونَ طَلِيقَا
مُرَّ أُرْنَحْ عِطْفَيْكَ بِالشُّعْرِ
مِنْ عَيْنِي وَقَلْبِي مُنَمَّمَا مَسْوَقَا

* من قصيدة (نَمَّ قَلْبِي).

حَضَرِيُّ الْخَيْـَالِ إِنْ ذُكِرَ الْمَنَّبْتُ
سَمِيَّ نَجْدًا وَسَمِيَّ الْعَقِيقَا
عِنْدِي الْكَنْزُ لَا يَضِيرُ غَنَاهُ
أَنْ يَكُونَ الْمَنْهُوبَ وَالْمَسْرُوقَا

يا وحشة الثَّارِ

وَحِينَ شَرَدْنَا الطَّاغِي وَأَرْخَصْنَا
حَنَّا الْعِرَاقُ فَأَوَّانَا وَأَغْلَانَا
وَمَنْ تَفَيَّأَ نَعْمَاءَ الْعِرَاقِ رَأَى
بِالْأَهْلِ أَهْلًا وَبِالْجِيرَانِ جِيرَانًا
مَالِي أَرَى الشُّمَّ فِي لُبْنَانٍ مُغْضِيَةً
تَطَامِنَتْ لِلرَّزَايَا شُمُّ لُبْنَانَا
دَمٌ يَتُونِسَ لَمْ يُثَارَ لَهُ دَمٌ
بِالْقُدْسِ - هَانَ عَلَى الْآيَامِ - لَا هَانَا
تَهَلَّهَتْ أُمَّتِي حَتَّى غَدَتْ أُمَّمًا
وَزُورَ الْوَطَنُ الْمَسْلُوبُ أَوْطَانًا
كَفَرْتُ بِالْحَسَبِ السَّامِيِّ إِلَى مُضَرٍ
أَسْتَغْفِرُ الْمَجْدَ الْإِنْكَارَ وَكُفْرَانَا
تَطْوَى الْقُبُورُ عَلَى الْمَوْتَى فَتَسْتُرُهُمْ
وَفِي الْقُصُورِ وَفِي السُّلْطَانِ مَوْتَانَا
يَا وَحْشَةَ الثَّارِ لَمْ يَنْهَدْ لَهُ أَحَدٌ
فَاسْتَجَدَّ الثَّارُ أَجْدَانًا وَأَكْفَانَا
مَنْ أَطْفَاءَ الْجُدُوهَ الْكُبْرَى بِأَنْفُسِنَا
أَدْهَرْنَا حَالًا أَمْ حَالَتْ سَجَايَانَا؟
مَا فِي الْعِرَاقِ وَلَا فِي الشَّامِ مَوْعِدُنَا
عَلَى الشَّيْثَةِ مِنْ حِطِّينَ لُقْيَانَا

تبارك الشجر*

قيل في تنوير الملك فيصل الثاني

شَادَ عَلَى الْأَيْكِ غَنَّاها فَأَشْجَانَا
تَبَارَكَ الشَّعْرُ أَطْيَابًا وَالْحَانَا
تَرَنُّحَ الْبَانُ وَاخْضَلَّتْ شَمَائِلُهُ
فَهَلْ سَقَى الشَّعْرُ مِنْ صَهْبَائِهِ الْبَانَا
هَلْ كُنْتُ أَمْلِكُ لَوْ لَا عَطْرُ نِعْمَتِهِ
قَلْبًا عَلَيَّ الْوَهَجِ الْقُدْسِيِّ نَدْيَانَا
أَيْطَمَعَ الشَّعْرُ بِالْإِحْسَانِ يَغْمُرُهُ
وَالشَّعْرُ يَغْمُرُ دُنْيَا اللَّهِ إِحْسَانَا
لَوْ شَاءَ عَطَّرَ هَذَا اللَّيْلَ غَالِيَةً
وَنَضَّرَ الرَّمْلَ أَشْوَاقًا وَرِيحَانَا
لَوْ شَاءَ نَمَنَّمَ هَذَا النَّجْمُ قَافِيَةً
وَنَعَمَ الْفَجْرَ أَحْلَامًا وَأَوْزَانَا
لَوْ شَاءَ أَنْزَلَ بَذْرَ التِّمِّ فَاخْتَفَلَتْ
بِهِ النَّدَامَى سِرَاجًا فِي زَوَايَانَا
وَلَوْ سَقَى الشَّمْسُ مِنْ أَحْزَانِهِ نَدِيَّتْ
عَلَى هَجِيرِ الضُّحَى حُبًّا وَتَحْنَانَا

* من قصيدة (ياوحشة الثَّار).

يا خالق القلب*

يا خالق القلب: أبدعنا صبابته
يا خالق الحسَن: أبدعناه ألوانا
قلبُ شكا لِلخيالِ السَّميحِ وحشَّته
فراحَ يَغمرُهُ نغمي وأشجَّجانا
يُمْنِي السَّرابِ على الصَّخراءِ حانيةً
تُضاحِكُ الرُّكْبَ واحاتٍ وغُدراننا
قاعُ البَحارِ أضاءتُهُ عرائسُنا
ونَدَّتْ العَدَمَ القاسِي عَذاراننا
وكلُّ ذَنْبٍ سِوَى الطُّغْيَانِ نُزِّلَهُ
على جِوانِحِنا حُبًّا وغُفراننا
وهمُّ كلِّ عُفاةِ الأرضِ نَحْمِلُهُ
كأنَّنا أَهلُهُ همُّنا وحِرماننا
نُشَارِكُ النَّاسَ بلِوائِهِمُ وإنْ بَعُدُوا
ولا نُشَارِكُ أَدْنَاهُمْ بِبِلِوائِنا
ضَمَّتْ مَحَبَّتُنا الأَشْثاتِ واتَّسَعَتْ
تَحَنُّوْنا على الكَوْنِ أَجْناسُنا وأدياننا

* من قصيدة (ياوحشة الثار).

كافور

كَافُورٌ قَدْ جُنَّ الزَّمَانُ وَإِلَيْكَ آلَ الصُّوْلَجَانُ
 خَجَلِ السَّرِيرِ مِنَ الدَّعْيِ وَكَيَادِ يَكِي الْأَرْجَوَانُ
 كَافُورٌ جَمَعَ حَوْلَ عَرْشِكَ كُلَّ مَنْ حَقَدُوا وَهَسَانُوا
 الْخَاضِعُونَ لِمَا تَشَاءُ وَمَا دَرَوْهُ وَمَا اسْتَبَانُوا
 النَّاعِمُونَ عَلَى الْيَهُودِ عَلَى رَعِيَّتِكَ الْخَشَّانُ
 لِلْعَفْ تَخْشَوْنَ بِدَوْلَتِهِمْ وَلِلصِّ ائْتَمَّانُ
 أَشْبَعَتْ بِالْخُطْبِ الْجِيَاعُ فَكُلْ هَادِرَةَ خِوَانُ
 خُطْبُ الرِّئِيسِ هِيَ الْكَرَامَةُ وَالْعُلَى، وَهِيَ الْضُمَّانُ
 هِيَ لِلْعُقَاةِ النَّازِحِينَ لُبَّانَةٌ وَهَوَى وَحَانُ
 إِلْحَنٌ وَكَرَّرَ مَا تَشَاءُ فَإِنَّهَا الْخُطْبُ الْحَسَّانُ
 وَإِذَا رَطْنَتْ فَإِنَّهَا عَرَبِيَاءُ خَالِصَةٌ هَجَّانُ^(١)
 كَافُورٌ قَدْ عَنَتِ الْوَجْوهُ فَكَيْفَ لَا يَغْنُو الْبَيَّانُ ؟
 يُغْنِي الشَّامَ عَنِ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمَهْرَجَانُ
 حَشَدَتْ لَطْلَعَتِكَ الْجَمْعُوعُ فَهَوْنُ الْخَبَرِ الْعِيَانُ
 غَرْنِي وَيَتَخَضَعُ مِنْ لُحُومِ الْأَبْرِيَاءِ الْخِيَزْرَانُ
 الرَّاكِعُونَ، السَّاجِدُونَ عَنَّا لَوَجْهِكَ وَاسْتَكَانُوا
 الْجَائِعُونَ، وَزَرَعُهُمْ لَكَ وَالْمَنَاهِلُ وَالْجَنَّانُ

١ - الهجان : الكريمة الخالصة .

القاطفون كرومهم ولك السُّلالة والدُّنان
 الحاضنون شقاءهم ولك المتعارف والليسان
 لك عذرة العرس الحيزين فمما تعجز ولا تصان
 ولك الظلال فبعض جودك أن يفيئهم مكان
 ودماءهم لك والبنون فما الأباطح والرعيان
 ولك العباد لا لغيرك والتشاهد والأذان
 كافور أنت خلقتهم كونوا - هتفت بهم - فكانوا
 يا عبقرى الظلم فيهم لك ابتداء وافتنان
 نحن العبيد فلا تحركنا الضغينة واللعان
 لا الفقير يلهب في جوانحنا الإيذاء ولا الهوان
 فاسجن وعذب واستبج حرماننا ولك الأمان
 والظلم من طبع الجبان وكل طاغية جبان
 يا أيها الصنم المدل فما مناة وما الممدان
 سلمت جباتك، قطننا عاف وحنطتنا.. زوان
 جعنا ويسلم للإذاعة هيلها والهيلمان
 والشتم من آلات نصرك لا الضراب ولا الطعان
 من أنت؟ عاصفة وتذهب مثلما انقشع الدخان
 من أنت؟.. لا الجند الأصيل ولا شمائله اللدان
 من أنت؟.. لولا صولة الطغيان، أنت إذن فلان
 كافور عرشك للفناء وربما أن الأوان
 الخالدان - ولا أعد الشمس - شيسغري والزمان

فرعون

قُلْ لِلَّهِدَاتِ بَدْمُرُ^(١) عَزَّ الْمَفْـَاخِرُ وَالنَّدِيدُ
سَجْنُ تَضْيِيقِ كُهُوفِهِ وَالسَّهْلُ مَبْسُوطٌ مَدِيدُ
مَا دَ الطُّغْيَانُ بِكُمْ، فِيمَا فَلَّكَ السَّمَاءُ أَلَا تَمِيدُ؟
يَا رَبُّ عَفْوِكَ إِن سَأَلْتُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَنْ أُرِيدُ
مَنْ أَيُّ طِينٍ أُنْشِئُ الزَّمَانُ لِلْـدَمِ وَالْحَقُودُ
الَّذِينَ عَلَى الْعَادُوِّ وَيَأْسُهُمْ فِينَا شَدِيدُ
فِرْعَوْنُ وَجْهِكَ فِي كُنَانِكَ الْعِبَادَةِ وَالسَّجُودُ
مَا لِلطُّغْيَانِ سِيَادَةً، يُخْشَى الظَّلَامُ وَلَا يَسُودُ
يَا قَاتِلَ بَاخِ أَخِيهِ، كَلَّا قَتَلَيْكَ الشَّهِيدُ
بَادَ الطُّغْيَانُ جَمِيعَهُمْ أَمَّا الشُّعُوبُ فَلَا تَبِيدُ
١٩٦٦

١ - كانت تدمر معتقل الأحرار .

الشعر والشاعر*

أنا ملكُ إلهيامي فلا أبدي هنالك ولا أعيدُ
 ما رُحْتُ أَحْكُمُ بالقصيدِ وراح يحكمني القصيدُ
 إن شِئَاءَ تَمَّ لَنَا اللقياءُ وإنْ شِئَاءَ كُتِبَ الصَّدودُ
 والأميرُ مينا يختساره هو سيِّدٌ وأنا المسودُ
 وأريدُ فيفوتني ويوزر ساعة لا أريدُ
 سري وأجهلُ كنهه فقديمُ صحبتنا جديدُ
 والروحُ أقربُ ما إليك وغيبها الداني البعيدُ
 الشَّعرُ أنغامُ مُعْطَرةٍ ولؤلؤةٍ وجيدُ
 فيه الهوى والأريجُ والسَّلافةُ والمزِيدُ
 فَرَحٌ مُقِيمٌ في سرائرنا وقافية شُرودُ
 أوزانُه عقدُ الحريرِ على العرائسِ لا القيودُ
 الصائغُ لهُ كما صيَّنت بعفتها النهودُ
 نورٌ تحلده الحُروفُ وتخطي النورَ الحدودُ
 أحلى الصُّعابِ قصائدُ ونواعمُ كالسورِ خُودُ
 ومن التَّمَنُّعِ مينا يدلُّ به بالجمالِ ومينا يزيدُ
 الشَّعرُ والحُسْنُ المُلْكُ كَلَامُها طِغْيَانُ عِيدُ
 أنا ساحرٌ لمسَّ الغصونَ وضَمَّها فهي القُدودُ

* من قصيدة فرعون .

وَمِنَ الشَّقَائِقِ حِينَ أَقْطَفُهَا الْمَرَاشِفَ وَالْخُدُودُ
وَمِنَ الدَّمِوعِ وَقَدْ ضَمَنْتُ بِهَا اللَّالِيَّ وَالْعَقُودُ
وَعَمَّيْتُ عَطِيرَ الْأَقْحَوَانِ فَتَوَّرَتْ شَفَّةُ بَرُودُ
وَالْعَبْقَرِيَّةُ كَالضُّحَى مِنْ بَعْضِ نِعْمَتَيْهِ الْوَجُودُ
وَأَنَا الْغَرِيبُ بِمَوْطِنِي وَأَنَا الْمُسْتَرْدُّ وَالطَّرِيدُ

البلبل الغريب

مهداة إلى حفيدي محمد

أَلَمْ بِكَفِّيَّ النِّجْمَ وَأَنْتَفِيَّ
مُزَرَّرَهَا فِي بَاقَتِي وَالْمُعَصَّبَا
تَغَرَّبَ عَنْ مُخْضَلَّةِ الدَّوْحِ بُلْبُلٌ
فَشَرَّقَ فِي الدُّنْيَا وَحِيدًا وَغَرَبًا
وَعَمَّسَ فِي الْعِطْرِ الْإِلَهِيِّ جَانِحًا
وَزَفَّ مِنَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ مَوْكِبَا
تَحَمَّلَ جُرْحًا دَامِيًّا فِي فُؤَادِهِ
وَعَنَّ عَلَى نَائِي فَأَشْجَى وَأَطْرَبَا

فيينا في ٣١ آب - أغسطس ١٩٦٣

هَبِينِي حُزْنًا لَمْ يَمْرَ بِمَهْجَةٍ*

سَلِيَ الْجَمْرَ هَلْ غَالَى وَجُنَّ وَعَذَبًا
كَفَرْتُ بِهِ حَتَّى يَشُوقَ وَيَعْذُبَا
وَلَا تَحْرِمِينِي جُذُوءَ بَعْدَ جُذُوءَ
فَمَا اخْضَلْ هَذَا الْقَلْبُ حَتَّى تَلْهَبَا
وَمَا نَالَ مَعْنَى الْقَلْبِ إِلَّا لِأَنَّهُ
تَمَرَّغَ فِي سَكَبِ اللَّظَى وَتَقَلَّبَا
هَبِينِي حُزْنًا لَمْ يَمْرَ بِمَهْجَةٍ
فَمَا كُنْتُ أَرْضَى مِنْكَ حُزْنًا مُجَرَّبَا
وَصُوغِيهِ لِي وَحْدِي فَرِيدًا وَأَشْفِقِي
عَلَى سِرِّهِ الْمَكْنُونِ أَنْ يَتَسَرَّبَا
مَصُونًا كَأَعْلَى الدَّرْعِ عَزَّيْتِمَهُ
فَأُودِعَ فِي أَخْفَى الْكُنُوزِ وَغُيِّبَا
وَصُوغِيهِ مَشْبُوبَ اللَّظَى وَتَخِيرِي
لَأَلَامِهِ مَا كَانَ أَقْسَى وَأَغْرَبَا
وَصُوغِيهِ كَالْفَتَانِ يُدْعُ تَحَفُّةً
وَيَرْمُقُهَا نَشْوَانِ هَيْمَانَ مُعْجَبَا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

ويا رَبُّ أَحْزَانِي وَضَعَاءُ كَأَنِّي
سَكَبْتُ عَلَيْهِنَّ الْأَصِيلَ الْمُدَّهَبَا
تَرَصَّدَ نَجْمُ الصُّبْحِ مِنْهُنَّ نَظْرَةً
وَأَشْرَفَ مِنْ عَالِيَّاهُ وَتَرَقَّبَا
فَأَرُخِيَتْ أَلْفَ السُّنُونُ كَأَنِّي
أُمِدُّ عَلَى حَالٍ مِنَ النُّورِ غِيَهَبَا
فَغَوَّرَ نَجْمُ الصُّبْحِ يَأْسًا وَمَا رَأَى
عَلَى طُهُرِهِ - حَتَّى بَنَانَا مُخَضَّبَا
وَقَدْ تَبَهَّرَ الْأَحْزَانُ وَهِيَ سَوَافِرٌ
وَلَكِنَّ أَخْلَاهُنَّ حُزْنٌ تَنْقَبَا

أرى طيفك المعسول*

أرى طيفك المعسول في كل ما أرى
وحدث ولكن لم أجد منه مهرباً
سقاني الهوى كأسين: يأساً ونعمةً
فبإالك من طيف أراح وأثعبا
وخالط أجفاني على السُّهد والكرى
فكان إلى عيني من الجفن أقرباً
شكوناً له السُّمراء حتى رثى لنا
وجراً أنا حتى عتبنا فأعتبنا
وناولني من أرز لبنان نفحةً
فعطّر أحزاني وندى وخضبنا
وثنى برياً الغوطتين يذيعها
فهذه أحلامي وأغلى وطيبنا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

ويا ربَّ من أجل الطفولة وحدها*

يَزُفُ لَنَا الْأَعْيَادَ عِيدًا إِذَا خَطَا
وعِيدًا إِذَا نَاغَى وعِيدًا إِذَا حَبَا
كَزُغِبِ الْقَطَا لَوْ أَنَّهُ رَاحَ صَادِيًا
سَكَبَتْ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيشْرِبَا
يَنَامُ عَلَى أَشْوَاقِ قَلْبِي بِمَهْدِهِ
حَرِيرًا مِنْ الْوَشْيِ الْيَمَانِيِّ مُذْهَبَا
وَأَسْدِلْ أَجْفَانِي غَطَاءً يَظْلُهُ
ويا لَيْتَهَا كَانَتْ أَحَنًّا وَأَخْدَبَا
وَتَخَفُّقُ فِي قَلْبِي قُلُوبٌ عَدِيدَةٌ
لَقَدْ كَانَ شَعْبًا وَاحِدًا فَتَشَعَّبَا
ويا رَبُّ مِنْ أَجْلِ الطُّفُولَةِ وَخُدَهَا
أَفْضُ بَرَكَاتِ السَّلَامِ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
وَرُدَّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ شَعْبٍ وَإِنْ يَكُنْ
كَفُورًا وَأَحِبُّهُ وَإِنْ كَانَ مُذْنِبَا
وَصُنْ ضَحْكَةَ الْأَطْفَالِ يَا رَبَّ إِنَّهَا
إِذَا غَرَّدَتْ فِي مَوْحِشِ الرَّمْلِ أَعْشَبَا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

ملائكُ لا الجنَّاتُ أنجَبْنَ مثلَهُم
ولا خُلدُها - أَسْتَغْفِرُ اللهَ - أنجَبَا
ويا ربَّ حَبِّبْ كُلَّ طفلٍ فلا يَرَى
وإن لَجَّ في الإعْناةِ وجهُها مقْطَبَا
وهيُّ لهُ في كُلِّ قلبٍ صِباةٌ
وفي كُلِّ لُقْيا مَرَحَباً ثمَّ مَرَحَبَا

سقى الله عند اللاذقية شاطئاً*

سقى الله عند اللاذقية شاطئاً
مُراحاً لأخلامي ومغنى وملعباً
وأرضى ذرى الطود الأشم فطالما
تحدى وسامى كلّ نجمٍ وأنعباً
وجاد ثرى الشهباء عطرأ كأنه
على القبر^(١) من قلبى أريق وذوباً
وحياً فلم يخطئ حماسة غمامه
وزف لحمص العيش ريان طيباً
ونضر فى حوران سهلاً وشاهقاً
وباكر بالنعى غنياً ومثرباً
وجلجل فى أرض الجزيرة صيباً
يزاحم فى السقى وفى الحسن صيباً
سحاب من شرق وغرب يلمها
من الريح راع أهوج العنف مفضباً
يؤلفها حيناً وتطفّر جفلاً
وحاول لم يقنط إلى أن تغلباً

* من قصيدة (البلبل الغريب) .

١ - قبر المرحوم سعد الله الجابرى .

فَلَمْ أَدْرِ هَلْ أُمُّ السَّمَاءِ قَطِيعُهُ
مِنَ الْغَيْمِ أَوْ أُمُّ الْخَبَاءِ الْمَطْنَبُ
تَبَرَّجَ لِلصَّحَرَاءِ قَبْلَ أَنْ يَكَابَهُ
فَلَوْ كَانَ لِلصَّحَرَاءِ رِيقٌ تَحْلُبُهَا

أَتَدْرِي الرَّبِّي أَنَّ السَّمَاوَاتِ سَافَرْتُ؟*

وَمَرَّتْ عَلَى سُمْرِ الْخِيَامِ غَمَامَةٌ
تَجِرُّ عَلَى صَادٍ مِنَ الرَّمْلِ هَيْدَبًا^(١)
نَطَافٌ عَذَابٌ رَشَّهَا الْغَيْمُ لَوْلُؤًا
وَتَبْرًا فَمَا أَغْنَى وَأَزْهَى وَأَعْجَبَا
حَبَّتْ كُلُّ ذِي رُوحٍ كَرِيمٍ عَطَائِهَا
فَلَمْ تَنْسَ أَرَامًا وَلَمْ تَنْسَ أَذْؤَبَا
وَجُنَّتْ مَهَاةُ الرَّمْلِ حَتَّى لَفَازَلَتْ
وَجُنَّ حَمَامُ الْأَيْكِ حَتَّى لَشَبَّبَا
وَطَافَ الْغَمَامُ السَّمْعُ فِي الْبَيْدِ نَاسِكًا
إِلَى اللَّهِ فِي سُقْيَا الظَّمَاءِ تَقَرُّبَا
عَوَاطِلُ مَرِّ الْمُزْنِ فِيهِنَّ صَائِفَا
فَفَضَضْنَ فِي تِلْكَ السُّهُولِ وَذَهَبَا
وَرَدَّ الرُّمَالُ السُّمْرَ خُضْرًا وَحَاكَهَا
سَمَاءً وَأَغْنَاهَا وَرَشَّ وَكُوكَبَا
وَرَدَّ ضُرُوعَ الشَّاءِ بِالْدَّرِّ حَفْلًا
لِتُرْضَعَ حُمَلَانَا جِيَاعًا وَتُحْلَبَا

* من قصيدة البلبيل الغريب.
١ - الهيدب : السحاب المتدلى .

ولاعبَ في حالٍ من الرَّمْلِ رَبِّرًا
وضاحَكَ في غالٍ مِنَ الوَشْيِ رَبِّرًا^(١)
وجَمَعَ ألوانَ الضِّيَاءِ ورَشَّها
فأَحْمَرَ ورَدِيًّا وأَشَقَرَ أَصْهَبًا
وأخْضَرَ بَيْنَ الْأَيْكِ والبَحْرِ حائِرًا
وأَبْيَضَ بالوَهْجِ السَّماويِّ مُشْرِبًا
ولَوْنًا مِنَ السَّمَرِاءِ صَيَّغَتْ فُتُونُهُ
يَياضًا نَعَمَ لَكِنْ يَياضًا تَعَرِّبًا
أَتَدْرِي الرُّبَى أَنَّ السَّماواتِ سَافَرَتْ
لِتَشْهَدَ دُنْيانا فَأَغْفَتْ عَلَى الرُّبَى

١ - القطيع من بقر الوحش .

عاد الغريب

حَلَفْتُ بِالشَّامِ هَذَا الْقَلْبُ مَا هَمَّدا
عُنْدِي بِقَايَا مِنَ الْجَمْرِ الَّذِي اتَّقَدَا
لَثَمْتُ فِيهَا الْأَدِيمَ السَّمْعَ فَالْتَهَيْتُ
مِرَاشِفَ الْحُورِ مِنْ حَصْبَائِهَا حَسَدَا
قَدْ ضَمَّ هَذَا الثَّرَى مِنْ صَيْدِهَا مَرْقَا
إِرْثَ الْفَتْوحِ وَمِنْ مُرَّانِهَا قِصْدَا^(١)
أَلَمِلِمُ الْجَمَرَاتِ الْخَضِرَ مِنْ كِبْدِي
وَأَسْتَرِدُّ الصَّبَا وَالْحُبَّ وَالْكَبِدَا
وَأَرْشِفُ الْكَاسَ مِنْ عِطْرِ وَمِنْ غَيْدِ
فَأَسْكُرُ الْمُتَرْفِينَ الْعِطْرَ وَالْغَيْدَا
فَدَيْتُ سَمَرَاءَ مِنْ لُبْنَانٍ سَاقِيَةً
حَنَانِهَا مَا اخْتَفَى مِنْ غُرْبَتِي وَبَدَا
فَدَيْتُ جَفْنَيْنِ مِنْ سَكَبِ الدُّجَى اِكْتَحَلَا
إِذَا سَهَدْتُ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا سَهْدَا
سَقَيْتُ خَمْرَةَ أَشْعَارِي لِمَى شَفَّةً
بَخِيلَةً فَسَقَيْتُنِي الشَّهْدَ وَالْبَرْدَا
وَإِنْ كَبِرْتُ فَلِي كَنْزَا هَوَى وَصَبَّيَا
نَهْدَانِ مِنْ نَعِيمَاتِ اللَّهِ قَدْ نَهْدَا

١ - جمع قصدة : وهي القطعة من كل ما يكسر .

أودعتُ عندهما بعضَ الشبابِ فما
خائناً ودیعةً أیامی ولا جَحَداً
عادَ الغریبُ ولمْ تَظمَماً سَریرتهُ
فقدُ حَمَلْتُ بها فی غُرْبَتی بَرَدی
مَنْ رَوَّعَ البُلبلَ الهَسانی وأجفَلَه
عنْ أیکه وسَقاهُ الحَتَفَ لو وَردا
جَلاني الظُّلمُ أَشلاءَ مُمَزَّقَةً
واختَزَّ أَکْرَمَهُنَّ: القلبَ والولَدَا
تُصْغِي النجومُ إلى نَوْحی فیسُکرها
یَکِي الهَزارُ ویَبْقَى مُسْکِراً غَرِداً
قَلبي الذي نَصَرَ الدنیا بنعمته
رأى من الحَقْدِ أقسأه وما حَقدا
فینا لقلبٍ غَنِيٍّ النُّورِ مَزَّقَه
على النُّوی حَقْدُ أَحبابٍ وحِقْدُ عِدی
دَعُوا کرامَتی العَصْماءَ نازِلَةً
على الشُّموسِ تُذِيعُ الحُسْنَ والرَّأداً
وکیفَ أَعْنُو لَجَبَّارٍ وَقَدْ مَلَكْتُ
یَمیني القَمَرینِ: الشُّعْرَ والصیْدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأرواحِ یُدْعِها
مَنْ سِرَّهُ لمْ یُشارِکْ غَیْبَهُ أَحداً

تَفَرَّدَ اللهُ بِالْأَرْوَاحِ لَا مِثْلًا
جَلَّالَهُ سِرُّهَا الْأَعْلَى وَلَا بِلَدَا
وَمِيَّزَ الشَّامَ بِالنُّعْمَى وَدَلَّلَهَا
فَمَنْ ثَرَى الشَّامِ صَاغَ الرُّوحَ وَالْجَسَدَا
ثَرَاكَ وَالْدَّرُّ مَا هَانَا وَإِنْ ظُلِمَا
وَأَنْتِ وَالنُّورُ مَا ضَاعَا وَإِنْ جُحِدَا

الطاغية*

يَسُومُنَا الصَّنَمُ الطَّاغِي عِبَادَتُهُ
لَنْ تَعْبُدَ الشَّامُ إِلَّا الْوَاحِدَ الْأَحَدَ
وَجْهَ الشَّامِ الَّذِي رَفَّتْ بِشَاشَتِهِ
مَنْ النِّعِيمِ لَغَيْرِ اللَّهِ مَا سَجَدَا
تَفَنَّنَ الصَّنَمُ الطَّاغِي فَأَلْفُ أَدَى
وَأَلْفُ لَوْنٍ مِنَ الْبَلَوَى وَأَلْفُ رَدَى
أُنْحَى عَلَى الشَّامِ أَرْيَافًا وَحَاضِرَةً
فَلَمْ يَدْعُ سَبْدًا فِيهَا وَلَا لَبْدًا
جُهْدُ الْعُفَاةِ مِنَ الْعُمَالِ جَزِيَّتُهُ
وَكُلُّ مَا قَطَفَ الْفَلَّاحُ أَوْ حَصَدَا
دَعِ الشَّامَ فَجِيْشُ اللَّهِ حَارِسُهَا
مَنْ يَقْحِمِ الْغَابَ يَلْقَ الضَّيْغَمَ الْحَرْدَا
وَمَنْ حَمَى ظُلْمَ فِرْعَوْنَ لِأَمْتِهِ
فَقَدْ تَفَرَّعَ عَنْ طُغْيَانَا وَمُعْتَقِدَا
يَا رَاقِدَ الثَّارِ لَمْ يَأْرِقْ لِحِمْرَتِهِ
جِيْشُ الشَّامِ عَنِ الثَّارَاتِ مَا رَقْدَا

* من قصيدة (عاد الغريب) .

تَأَلَّهَ الْفَرْدُ حَيْنُثَا ثَمَّ عَاصِفَةً
هَدَّارَةً فَكَأَنَّ الْفَرْدَ مَا وَجِدَا
تُبْنَى الشَّعُوبُ عَلَى قُرْبَى وَمَرْحَمَةٍ
وَمَا بَنَى الْحَقْدُ لَا شَعْبًا وَلَا رَغْدًا
آمَنْتُ بِالْفَرْدِ حُسْرًا فِي عَقِيدَتِهِ
وَكُلُّ فَرْدٍ وَمَا وَالِي وَمَا اعْتَقَدَا

هَشَّتْ إِلَى قُبُورِ*

ضَمَّ الثَّرَى مِنْ أَحْبَائِي لِيُوثَ شَرِيٍّ
وِغَابٍ تَحْتَ الثَّرَى مِنْهُمْ شَمُوسٌ هُدَى
لِدَائِي الصَّيْدُ، شَلَّ الْمَوْتُ سِرَّحَهُمْ
لَيْتَ النَّجِيمُ وَرُوحِي لِلدَّاتِ فِدَى
الرَّاقدُونَ وَجَفَنِي مِنْ طَيُوفِهِمْ
فِي سَامِرٍ ضَجَّ فِي جَفَنِي فَمَا رَقْدَا
قُبُورُ أَهْلِي وَإِخْوَانِي وَغَافِيَةٌ
مِنَ الطُّيُوفِ وَأَسْرَارُ وَرَجْعُ صَدَى
وَاللَّيْلِ وَالصَّمْتِ وَالذِّكْرَى وَكَتَرُ رُؤْيٍ
لَمَحَتْ مَارِدُ جَنِّ حَوْلَهُ وَصِدَا
وَوَحْشَةٌ لَفَّتِ الدُّنْيَا بِرَهِيَّتِهَا
وَلَفَّتِ الْغَيْبَ وَالْأَحْلَامَ وَالْأَبْدَا
الْحَانِيَّاتُ عَلَى تِلْكَ الْقُبُورِ مَعِي
وَنَبْهَ الْفَجْرِ طَيْرًا غَافِيًا فَشَدَا
حَتَّى بَكَيْتُ فَذَابَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ فِي أَدْمَعِ النَّائِي الَّذِي وَفَدَا
هَشَّتْ إِلَى قُبُورٍ، أَدْمَعِي عَبَقَ
عَلَى الرِّيَّاحِينَ فِي أَفْيَائِهَا وَنَدَى
ضَمَّتْنِي الشَّامُ بَعْدَ النَّأْيِ حَانِيَةً
كَالْأَمِّ تَحْضَنُ بَعْدَ الْفَرْقَةِ الْوَلَدَا

* من قصيدة (عاد الغريب) .

حنين الغريب

تطوحني الأسفار شرقاً ومغرباً
ولكن قلبي بالشام مُقيمٌ
وأسمعُ نجواها على غير رؤية
كأنني على طُور الجلال (كَلِيمُ)
وما نال من إيماني السَمح أنني
أصلي لها في غربتي وأصومُ
يُلاقي العَظيمُ الحَقْدَ في كل أمة
فلم ينجُ من حقدِ الطغَامِ عَظيمُ
ويا رب قلبي ما علمتَ محبةً
وعطرٌ ووهجٌ من سناك صميمُ
قد اختصرتُ دنيا بقلبي وعالمُ
كما اختصرَ العلمُ الشِتيتَ رقيمُ
وأعرضُ إغراضَ الخلي من الهوى
وبي من هواها مُقعدٌ ومُقيمُ
وما حيلتي إن نَمَّ عن نفسه الهوى
هو العطرُ والعطرُ الزكي نَمومُ
تشابهتِ السمرَاءُ والدهرُ شيمَةً
كَلَا القَادِرِينَ القَاهِرِينَ ظُلُومُ

وأُكْرِمُهَا عَنْ كُلِّ لَوْمٍ وَأَنْتَشِي
أُعَاتِبُ قَلْبِي وَحَدَّهُ وَالْوَمُ
وَلَوْ أَنَّ شِعْرِي دَلَّلَ الرِّيمَ نَافِرًا
تَلَفْتُ يَجْزِينِي الصَّبَابَةُ رِيمُ

وشعر كآفاق السماء*

وفاء كَمُزِنِ الغوطتين كَرِيمُ
وَحَبٌّ كَنَعَمَاءِ الشَّامِ قَدِيمُ
وشعر كآفاق السماء تَبَرَّجَتْ
شُمُوسٌ عَلَى أَنْغَامِهِ وَنَجُومُ
يَلْمُ (شَفِيقٌ)^(١) كَوَكَبًا بَعْدَ كَوَكَبٍ
وَنَسَّقَ مِنْهَا الْعَقْدَ فَهُوَ نَظِيمُ
مَعَانٍ بِأَلْوَانِ الْجَمَالِ غَنِيَّةُ
كَمَا زَفَّ أَلْوَانُ الطُّيُوبِ نَسِيمُ
وَوَشِي كَأَحْلَامِ الشَّبَابِ يَصُوغُهُ
أَنِيقُ بِأَسْرَارِ الْبَيْتِ عَالِمُ
سَقَانِي سُلَافَ الشَّعْرِ حَتَّى تَرْنَحَتْ
دَمُوعٌ وَغَنَّتْ لَوْعَةٌ وَكُلُّوْمُ
فَفِي كُلِّ بَيْتٍ رِيقَةٌ أَوْ سُلَافَةٌ
وَرِيحَانَةٌ شَامِيَّةٌ وَنَدِيمُ

* من قصيدة (حنين الغريب) .

١ - شفيق جبرى الشاعر الكبير . وقد اطلع على قصيدة (البلبل الغريب) فنظم قصيدة رائعة بعث بها إلى الشاعر فى جنيف .

العقل*

فررتُ إلى قلبي من العقل خائفاً
 كما فر من عدوى المريض سليم
 تأله عقل أنت يا رب صغته
 وكعاد يرد الميت وهو رميم
 وضاعت به الدنيا ففي كل مهجة
 هواجس من كفرانه وغموم
 وأبدعت هذا العقل نغمى قطافها
 فنون كأطياب الهوى وعلوم
 ترف حضارات عليه وضيئة
 وخير كإغداق السماء عميم
 فما بال هذا العقل جن جنونه
 فرد ملاك الطهر وهو أثيم
 وزلزل منه البر والبحر كإفتر
 بنعماك مرهوب الخشوف غشوم
 تحداك حتى كعاد يزعم أنه
 شريك لجبار السماء قسيم
 وحاول غزو النيرين فيرده
 عن الذروة العصماء وهو رجيم
 وكف عنان العقل قسراً فربما
 أثير بالحاح السففيه حلیم

* من قصيدة (حنين الغريب).

وهيهات منى فى البحيرة دمر*

تُبادهنى عند البحيرة دمر^١
وروض^٢ على أفيائها وشميم^٣
وورق^٤ على شط^٥ البحيرة حوم^٦
وورق^٧ على قلب^٨ الغريب^٩ تحوم^{١٠}
خيال^{١١} جلا لي الشام حتى إذا انطوى
تنازع^{١٢} قلبي عبرة^{١٣} ووجوم^{١٤}
وحيت^{١٥} من الروح^{١٦} الشامي^{١٧} نفحة^{١٨}
ولوع^{١٩} بأشتات^{٢٠} الطيوب^{٢١} لموم^{٢٢}
وهان^{٢٣} بنعماء^{٢٤} الطفولة ما درى
أهادن^{٢٥} دهر^{٢٦} أم ألح^{٢٧} خصيم^{٢٨}
وهيهات منى فى البحيرة دمر^{٢٩}
وسجع^{٣٠} بوادي الربوتين^{٣١} رخيم^{٣٢}
إذا لاح^{٣٣} لي وجه^{٣٤} البحيرة قائما^{٣٥}
ألح^{٣٦} عليه عاصف^{٣٧} وغيوم^{٣٨}
فوجه^{٣٩} أديم^{٤٠} الشام^{٤١} طلق^{٤٢} منور^{٤٣}
ووجه^{٤٤} بحيرات^{٤٥} السماء^{٤٦} قسيم^{٤٧}

* من قصيدة (حتين الغريب) ، و(دمر) ضاحية من ضواحي دمشق.

١ - حفيده محمد .

٢ - ضاحية من ضواحي دمشق .

ويحزنُنِّي دوحُ البحيرةِ عاريًّا
 وأوراقهُ الخضرَاءُ وهي هشيمٌ
 وأبسطُ كفي أقطفُ الماءَ عابثًا
 كأن المويجاتِ الصغارَ جميمٌ^(٣)
 وتلك الظلالُ الحالياتُ عواطلُ
 على كلِّ أيكٍ وحشةٌ وسهومٌ
 تعرَّتْ من الغيدِ الملاحِ وطالنا
 تغطَّى بأسرابِ الملاحِ أديمٌ
 رسومٌ هوى ما استوقفتُ خطو عابرٍ
 كما استوقفتُ ركبَ الفلاةِ رسومٌ
 ولا لثمَ الحصباءِ فيها متيمٌ
 يشمُّ الهوى من عطرِها فيهمٍ
 يُجلُّها الليلُ البهيمُ ومثلهم
 ضُحى كالدجى غمرُ السوادِ بهيمٌ
 وشمسُ الضُحى خوذُ كعابٍ يضمُّها
 لغيرانٍ من صيدِ الملوكِ حريمٌ
 يردُّ ويُجلَى عن كوى الغيمِ وجهُها
 كما ردَّ عن بابِ البخيلِ يتيمٌ

٢ - النبات يغطي الأرض .

ويشكو الضحى من هجرها مُتوجِّعاً
 ويوحشُهُ هجرانُها ويضيمُ
 تأبَّتْ على جُهدِ الضُّحى فكأنها
 من الغيِّدِ مكسَّالُ الدلالِ نؤومُ
 وضمَّ الظلامُ السَّكْبُ ظلاً لجاره
 كأن الظَّلَّالَ المغفياتِ جُسُومُ
 يُطارحُنِي دوحُ البحيرةِ شجوةً
 كَلاناً مُعْنَى بالزمانِ هضمُ
 وأشكو له البلوى ويشكو كأننا
 حميمٌ يُساقِبُه العزاءَ حميمُ
 أتشكو ولكن عندك الريحُ والدجى
 وللجنِّ من شتى الظلالِ نجومُ
 وعندك آلافُ الطيوفِ حوائمُ
 رَوانٍ لأسرارِ البحيرةِ هيمُ
 تَكَلِّمُ أسرارَ البحيرةِ شُرُداً
 ويفتُّها سَكْبُ الشذا فتريمُ
 هنا كلُّ أسرارِ البحيرةِ والرؤى
 طوافِرُ في دنيا الخفاءِ تهيمُ
 هنا عرسُ الأطيافِ يفتَرش الدجى
 ويقعدُ في أحضانِه ويقومُ

خَفَاءٌ يَضِجُ الصَّمْتُ فِيهِ وَبَلْبَلُ
تَحْدَى ضَجِيجِ الصَّمْتِ فَهُوَ نَغُومُ
وَلَفَّ الْخَفَاءُ الْحُسْنَ حَتَّى شَكَى الْهُوَى
وَعَارَ حَرِيرُ مُتَرَفٍّ وَرَقُومُ
فَدَعُ لَوْمَهُ إِنْ لَمْ يَلْحَ لَكَ سَحَرُهُ
خَيَالُكَ لَا سِحْرُ الْخَفَاءِ مَلُومُ
هَنَا أَلْفُ الْأَطْيَارِ وَالنَّاسِ رَحْمَةٌ
فَلِلطَّيْرِ أَنْسٌ فِيهِمْ وَلِزُومُ
إِذَا انْبَسَطَتْ رَاحٌ فَلِلطَّيْرِ فَوْقَهَا
حَنِينٌ إِلَى سَمْعِ الْقَرَى وَجُثُومُ
فِيَا خَجَلَةَ الصَّحْرَاءِ لَمْ يَنْجُ جُؤْذُرُ
وَلَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَمَانِ ظَلِيمُ^(١)
شَكَا الطَّيْرُ مِنْ ظُلْمِ الْإِنَاسِيِّ وَاشْتَكَتْ
ظَبَاءٌ وَعَشَبٌ فِي الْفَلَاةِ نَجِيمُ
فِيَا رَبَّ لَا أَقْوَى مِنَ الطَّيْرِ عَشَّةُ
وَلَا رَاعَ أَسْرَابِ الظَّبَاءِ غَرِيمُ
وَلَا أَوْحَشَتْ رَمْلَ الْفَلَاةِ جَاذِرُ
وَوَرْدُ يَنْدِي حَرَّهَا وَفُغُومُ

٤ - الظُّلْمُ نَكَرُ النِّعَامِ .

وكلُّ غمامٍ مرٌّ في الرملِ ديمةٌ
 وكلُّ كناسٍ للظباءِ مديمٌ^(هـ)
 رمالٌ كبرِدٍ عاطلٍ الوشي حاكهُ
 صناعٌ معنّى بالبرودِ سؤومٌ
 فزوقهُ بالوشى غسادٍ ورائحٌ
 وعدوٌ جِيادٍ ضميرٍ ورسيمٌ
 ويا ربُّ تدري الشامُ أني أحبُّها
 وأفنى وحبِّي للشامِ يدومٌ
 وفي كلِّ أيكٍ لي على الشامِ منسكٌ
 وفي كلِّ دوحٍ زمزمٌ وحطيمٌ
 ويا ربُّ إن سبّحتُ والشامُ قبلتي
 فأنتَ غفورٌ للذنوبِ رحيمٌ

هـ - المديم : ما أصابته الديمة وهي المطر الدائم في سكون .

من وحى الهزيمة

رملٌ سِيناءَ قَبْرُنَا المحفورُ
وعلى القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكِيرُ
لا شَهِيدٌ يُرضي الصَّحاري، وجَلَى
هَارِبٌ في رمالها وأَسِيرُ
لم يُعانِ الوغى "لواء" ولا عانى
"فريق" أهوالها و"مُشير"
رَتَّبُ صُنْعَةِ الدواوين.. ما شارك
فيها قَرُّ الوغى والهَجِيرُ
جَبُنَ القادةَ الكبارَ وفروا
وبكى لِلفِرارِ جيشٌ جَسُورُ
هَزِمَ الحاكِمونَ والشَّعبُ في
الأصْفادِ، فالْحُكْمُ وحده المَكْسورُ
هَزِمَ الحاكِمونَ . لم يَحْزَنَ الشَّعبُ
عليهم ، ولا انتخَى الجُمهورُ
لا تَسَلُ عن نَميرِها غُوطَةَ الشِّامِ
أَلَحَّ الصَّيْدِ وغَاضَ النَمِيرُ
وانسَ عِطرَ الشَّامِ ، حيثُ يُقِيمُ
الظُّلمُ تَناءً.. ولا تُقِيمُ العَطُورُ

بعضُ حريتي السماواتُ والأُنجمُ
 والشَّمسُ والضحى والبُدورُ
 بعضُ حريتي الملائكُ والجنَّةُ
 والراحُ والشُّذا والخُبُورُ
 بعضُ حريتي الجمالُ الإلهيُّ
 ومنه المكشوفُ والمستورُ
 بعضُ حريتي ويكتحلُ العقلُ
 بنورِ الإلهامِ، والتفكيرُ
 بعضُ حريتي. ونحنُ القرايينُ
 لمحرابها، ونحنُ النُّذورُ
 بعضُ حريتي، من الصُّبحِ أطيابُ
 ومن رقةِ النسيمِ حرييرُ
 نحنُ أسرى، ولو شَمَسْنَا على القيدِ
 لما نالنا العدوُّ المُغيِرُ
 هل دَرْتُ عدنُ أنْ مسجدها الأقصى
 مكانُ من أهله مهجورُ
 أين مسرى البُراقِ، والقدسُ والمهدُ
 وبيتُ مُقدسٍ معمورُ؟
 لم يُرْتَلْ قرآنُ أحمدَ فيه
 ويُزارُ المبكى ويُتلى الزبورُ

أَيْنَ آيُ الْقُرْآنِ تُتْلَى عَلَى الْجَمْعِ
وَأَيْنَ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ؟
أَيْنَ آيُ الْإِنْجِيلِ؟ فَاحَ مِنْ الْإِنْجِيلِ
عَطِرٌ وَضَوْءٌ الْكَوْنِ نُورُ
كُحِلَتْ بِالثَّرَى الْخَضِيبُ جُفُونُ
وَهَفَّتْ لِلثَّرَى الْحَبِيبِ ثَغُورُ
لَا تُشَقُّ الْجُيُوبُ فِي مَحَنَةِ الْقُدُسِ
وَلَكِنَّهَا تُشَقُّ الصُّدُورُ
أَنَا حُزْنٌ شَخْصٌ يَرُوحُ وَيَغْدُو
وَمَسَائِي مَعَ الْأَسَى وَالْبُكُورُ
طَرَدْتَنِي الْأَكْوَاخُ، وَالْبُؤْسُ قُرْبِي
وَتَعَالَتْ عَلَيَّ شَقَائِي الْقُصُورُ
حَامِلًا مَحَنَةَ الْخِيَامِ، فَتَزُورُ
وَجِسْمُهُ عَنِي وَتُغْلَقُ دُورُ
الْخِيَامِ الْمُمَزَّقَاتُ وَأُمُّ
فِي الزَّوَايَا وَكُسْرَةٌ وَحَصِيرُ
وَفَتَاةٌ أَذْلَهَا الْعُرْيُ وَالْجُوعُ
وَيَلْهُو بِالرَّمْلِ طِفْلٌ صَغِيرُ
كَلِمَا أَنَّ فِي الْخِيَامِ شَرِيدُ
خَجَلِ الْقَصْرِ وَالْفِرَاشِ الْوَثِيرُ

خجلَ الحاكمونَ شرقًا وغربًا
 ورئيسُ مُسَيِّطِرٍ ووزيرُ
 هيئة^(١) للشعوبِ تُمعِنُ في الذنبِ
 ولا توبُّةً ولا تكفيرُ
 من قِوانينها المُدارةُ للظُّلمِ
 ومنها التغريبُ والتهجيرُ
 ويُقامُ الدستورُ، أضحوكةُ الساخرِ
 منّا ويؤادُ الدسِّستورِ
 والحضاراتُ بعضُهنَّ بشيرُ
 يتهدى وبعضُهنَّ نذيرُ
 نحنُ أسرى، وحينَ ضيمِ حمانا
 كاد يقضي من حُزنِهِ المأسورُ
 كلُّ فردٍ من الرعيَّةِ عبدُ
 ومن الحكمِ كلُّ فردٍ أميرُ
 نحنُ موتى! وشرُّ ما ابتدَعَ الطغيانُ
 موتى على الدروبِ تسيرُ
 نحنُ موتى! وإن غدونا ورُحنا
 والبيوتُ المَزوقاتُ قُبورُ

١ - هيئة الأمم المتحدة المسؤولة عن نكبة فلسطين .

نحن موتى. يُسِرُّ جَارٌ لْجَارٍ
مُسْتَرِيبًا: متى يكونُ النشورُ
سألوا عن ضنّاي، مَحْضُ تَشَفٍّ،
هل يصحُّ المُعَذِّبُ الموتورُ
أمنَ العدلِ أيها الشاتمُ التاريخِ
أن تلعنَّ العُصورَ العُصورُ؟
اشتراكية؟! وكنزٌ من الدرِّ
وزَهْفٌ وَمِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ
اشتراكيةٌ تعاليمُها: الإثراءُ
والظلمُ والخناسُ والفجورُ
اشتراكيةٌ! فإن مرَّ طباغُ
صَفٍّ جندٍ لهُ ودوى نفيرُ
ورقيبٌ على الخيالِ.. فهل يسلمُ
منه المساموعُ والمنظورُ؟
عازفٌ عن حقائقِ الأمرِ لؤمًا
وكفَى أن يُلَفَّقَ التقريرُ
فَيُجَافِي أَخٌ أَخَاهُ وَيَشَقِي
بِالْجِوَاسِيسِ زَائِرٌ وَمَزُورُ
مِحْنَةُ الحَاكِمِينَ جَهْلٌ وَدَعْوَى
جِبْنٌ فَاضِحٌ وَمَجْدٌ عَثُورُ
نهبوا الشعبَ، واستباحَ حمي المالِ
جنونُ النعيمِ والتبذيرِ

كيف يَغشى الوغى ويظفرُ فيها
 حاكمٌ مُشرفٌ وشعبٌ فقيرٌ
 مزَّقوه، ولن يُمزَّقَ، فالشعبُ
 عليمٌ بما أرادوا خبيرٌ
 محنةُ العربِ أمةٌ لم تُهادنْ
 فاتحيتها وحاكمٌ مأجورٌ
 هتكوا حرمةَ المساجدِ لا جنكيزُ
 بـاراهمٌ ولا تيمورٌ
 مؤمنٌ بين آتينِ من الفولاذِ
 دام، ممزَّقٌ، معصورٌ
 عبرةٌ للطفاةِ مصرعُ طاعٍ
 وانتقامٌ من عادِلٍ لا يجورُ
 كلُّ فردٍ منهم لِقَتْلِ أخيه
 يصدرُ الرأى منه والتدبيرُ
 وغداً يذبحُ الرفيقُ رفيقُ
 منهم والعشيرُ فيهم عشيرُ
 ارجعوا للشعوبِ يا حاكميها
 لن يُفيدَ التهويلُ والتغريزُ
 صارحوها... فقد تبدلت الدنيا
 وجذبتْ بعدَ الأمورِ أمورُ

لا يقودُ الشعوبَ ظُلمٌ وفقرٌ
 وسببٌ مُكرَّرٌ مسـمـورٌ
 والإذاعاتُ! هل تخلَّعت العاهرُ
 أم هل تقيُّأ السـكـيرُ؟!
 كلُّ حُكمٍ له - وإن طالت
 الأيامُ - يومان: أوَّلٌ وأخيرُ
 كلُّ طاغٍ - مهما استبد - ضعيفٌ
 كلُّ شعبٍ - مهما استكان - قديرٌ
 وهبَ الله بعضَ أسمائه
 للشعب، فهو القديرُ وهو الغفورُ
 يشهدُ الله ما بقلبي حقُّدٌ
 شَفَّ قلبي كما يشفُّ الغديرُ
 وجراحي ينطفنَ شهداً وعطراً
 أدمعي رَحمةٌ وشعري شعورُ
 يرشِفُ النورُ من بياني فإن
 غَنِيَتُ فهو المَدَلَّةُ المخمـورُ
 ومع الشيبِ والكهولة قلبي
 - كعهود الصبا - بـريءٌ غريرُ
 لي حُرِّيَّتِي وإيماني السـمـح
 فحلُمي هـانَ وجفني قريـرُ
 لم أهادنَ ظُلماً وتدرى الليالي
 في غدٍ أينما هو المدحسورُ!

مصرع الشمس

تأين الملك غازي عام ١٩٣٩

عُرسٌ في الجنانِ فالخسورُ يطفُرُنْ
على مَيعةِ الضياءِ البديدِ
سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ نَعِيمٌ وَأَفِيَاءُ
وأغْرودةٌ على أُمْلَسودِ
صاحبِ التاجِ! دَمْعَةٌ من دموعِ
الشامِ ذُوِبَتْ عِطْرُهَا في قصيدي
وأنا الشاعِرُ المُدِلُّ على الدنيا
بغيبٍ في حُبِّكُمْ وشهودِ
ليسَ بينَ العراقِ والشامِ حَدٌ
هدمَ اللَّهُ مَا بَنَوْا من حُدودِ
لا تَسْلُنِي عن الشامِ فقد حَزَ
بجيدِ الشامِ عَضُّ الحديدِ
شَقِيتُ باليهودِ أرضَ فلسطينَ
وَضَاقَتْ رِحَابُهَا باليهودِ
بِنَفَايَا الدنيا، على كلِّ وَجْهٍ
منهم، سُبَّةٌ للعينِ الطريدِ

بِنتَ مَـرَوانَ لا تُراعِـي وِخْلِي
عَنكَ تَهْـوِيلَ عُدَّةٍ وَعَدِيدِ
أَنْتِ فِي ذِمَّةِ العِـراقِ وَفِي
ذِمَّةِ أَنْجَادِهِ الأَبْـبَةِ الصَّـيْدِ

هذه دجلة*

صُورٌ لِلْقَدِيمِ تَعْرِضُهَا الدُّنْيَا
ضِيَاءٌ وَرَوْعَةٌ فِي الْجَدِيدِ
هَذِهِ دِجْلَةٌ وَهَذِي الْبَسَاتِينُ
وَشِدُو الْقُمْرِيَّةِ الْغَرِيِّدِ
وَالْأَمَاسِي وَالنَّخِيلُ وَمِلاَحُ
طُرُوبِ الْحَدَاءِ حُلُوُ النَّشِيدِ
وَاللَّيَالِي الْقَمَرَاءُ فِي النَّهْرِ
وَالْأَنْغِيَامُ أَصْدَاءُ زَوْرَةٍ وَصُدُودِ
وَالْقِيَانُ الْمِلاَحُ يَخْطُرُنَ فِي
الشَّطِّ سَكَارَى مُرْنَحَاتِ الْقُدُودِ
أَهَةٌ بَعْدَ أَهَةٍ مِنْ عَرِيبٍ^(١)
تَخْلُقُ الظُّلَّ لِلضُّحَى الْمَكْدُودِ
كَلِمَا هَلَّهَتْ صَبَاً أَوْ حَجَازاً
ضَبَاعَ حُلُمِ الْمُتَوَجِّحِ الْمَخْسُودِ
وَجَسَوارٍ يَمْرَحُنَ فِي الزُّورِقِ السَّاجِي
وَيَضْحِكُنَ عَنْ نَدْيٍ بَرُودِ
رَفٍّ مَجْدَافُهُ عَلَى الْمَاءِ وَأَنْسَابِ
بِأَحْلَى مَعَاصِمِ وَزَنُودِ

* من قصيدة (مصرع الشمس).

١ - المغنية العباسية وقد خصص لها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه العظيم (الأغاني) صفحات عديدة.

فَانْتَشَى مِنْ طُيُوفِهِنَّ وَجَنَّتْ
قَطَرَاتٌ عَلَّقْنَ بَيْنَ النُّهُودِ
وَالْقُصُورِ الْبَيْضَاءِ وَالْحُلُمِ
اللَّذُّ جَلَاهُ دُخَانٌ نَدَّ وَعُودُ
حَمَلَتْهُ هَفَافَةُ الْعَطْرِ نَشْوَانِ
إِلَى جَنَّةِ الْخِيَالِ الْبَعِيدِ

آلآم... (١)

فی تلین إبراهیم هنانو

أَلِفْتُ حَرَّكَ لَا شَكْوَى وَلَا سَهْدُ
يَا جَمْرَةً فِي حَنَائِيَا الصَّدْرِ تَتَقَدُّ
الطَّالِعُونَ عَلَى الدُّنْيَا بِنَصْرِهِمْ
لَوْلَا الْفَوَاجِعُ هَلْ شَدُّوا وَهَلْ نَهَدُوا
أَمَّا الشُّعُوبُ وَقَدْ ضَجَّتْ عَوَاصِفُهَا
فَصَاحِبُ النُّصْرِ فِيهَا الشَّاكِلُ الْحَرْدُ
لَا يُبْعِدُ اللَّهَ أَحْبَابًا فُجِعَتْ بِهِمْ
وَمَا غُلَّالَةٌ قَلْبِي بَعْدَمَا بَعُدُوا (٢)
مَصَّارِعُ بَعُطُورِ الْحَقِّ زَاكِيَّةُ
كَأَنَّمَا سَكَبُوا فِيهَا الَّذِي اعْتَقَدُوا
يَا خُمْرَةَ الْحُزْنِ هَذِي الْكَأْسُ مُتْرَعَةٌ
لِلشَّارِبِينَ وَهَذَا الشَّاعِرُ الْغَرْدُ
يَا هُدْنَةَ مِنْ قِرَاعِ الدَّهْرِ دَامِيَّةُ
أَلَا يَهْدِيهِدُ مِنْ آلاَمِكَ الْأَبْدُ

١ - أَلَقِيتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي حَفْلَةٍ أَقَامَتَهَا الْكُتْلَةُ الْوُطْنِيَّةُ فِي حَلَبٍ لَذِكْرِى الْمَغْفُورَ لَهُ هِنَانُ سَنَةِ ١٩٤٢ وَفِي الْبِلَادِ ثَلَاثَةَ جِيُوشٍ مَحْتَلَّةٍ: الْإِنْكِلِيزِ وَالْأَمِيرَكَانِ وَالْفَرَنْسِيِّينَ. وَالْحُكْمُ الْعَرَفِيُّ مَعْلَنٌ. وَقَدْ أُقِيمَتِ هَذِهِ الْحَفْلَةُ يَوْمَئِذٍ لِمُسْتَنْتَافِ النِّشَاطِ الْقَوْمِيِّ الْعَرَبِيِّ.

٢ - شُهَدَاءُ الثُّورَاتِ السُّورِيَّةِ الْمُتَوَالِيَةِ.

مَنْ كَسَعَدُ ؟

في رثاء سعد الله الجابري الزعيم الوطني السوري الكبير ،
والصديق الحميم للشاعر

سَأَلَ الصُّبْحُ عَنْ أَخِيهِ الْمُفْدَى
أَيُّهَا الصُّبْحُ لَنْ تُشَاهِدَ سَعَدًا
حَاسَنُوا غُرَّةَ الصَّبَاحِ بِسَعَدِ
فَعَلِمْنِي أَيَّ الصَّبَاحِينَ أَهْدَى
زَعَمَ الْخَصَمُ أَنَّهُ مُسْتَبِيدُ
حَبِذَا الْحُكْمُ عَادِلًا مُسْتَبِيدًا
إِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ ظَلَمُ الْجُمَاهِيرِ
وَأَهْيُونَ بِالظُّلْمِ إِنْ كُنَّانَ فَرْدًا
يَا صَفِيَّ الْأَحْزَانِ تَسْقِي الْبَرَايَا
كَأْسَهَا مُرَّةً وَتَسْقِيكَ شَهْدًا
مَا لِأَبْنَائِنَا تَجَنُّوا عَلَيْنَا
وَعَفِّرْنَا مَا كَانَ سَهْوًا وَعَمْدًا
أَنْكَرُونَا عَلَى الْمَشِيبِ كَأَنَّا
لَمْ نَكُنْ قَبْلَهُمْ غَرَانِيقَ مُرْدًا
ضَجَّ سَوْقُ الرَّقِيقِ فِي نُدْوَةِ الْقُومِ^(١)
وَنَخَّاسُ طَغَى وَاسْتَبَدَّ
يَعْرِضُونَ الشُّعُوبَ عَرْضَ الْجَوَارِي
عَرِيتَ لِلْعَيُونِ نَحْرًا وَنَهْدًا

١ - يشير إلى جمعية الأمم المتحدة واستبداد النول القوية فيها بالشعوب الضعيفة.

أَيْنَ أَيْنَ الرَّعِيلُ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ؟

في رثاء الزعيم رياض الصلح

أَرْزُ لُبْنَانَ أَيْكَةً فِي ذُرَانَا
وَالْفِرَاتَانِ مَأْوُنَا وَالنَّيْلُ
وَرِيَا حِينُنَا عَلَى تُونِسَ الْخَضِرَاءِ
خَضِرَاءُ أَيْنَ مِنْهَا الذُّبُولُ
مَا شَكَّتْ جُرْجَهَا عَلَى الْبُعْدِ إِلَّا
رَفَّ قَلْبِي عَلَى الْجِرَاحِ يَسِيلُ
أَيَّ سِرٍّ نُرِيدُ فِي الْكُيُونِ
وَالْكُيُونُ مُعْنَى بِسِرِّنَا مَشْفُولُ
بَعْدَ الْفَرْقِ بَيْنَ رُوحِي وَجَسَمِي
جِسْمِي أَيْمٌ وَرُوحِي بَتُّوْلُ
رَبِّ! قَلْبِي زَيْتُونُهُ لِحُمَيَّاكَ
فَمَرْتُ نَسَكِبُ بِقَلْبِي الشَّمُولُ
يَا لِدَاتِ الشَّبَابِ لَوْ يَنْفَعُ الدَّمُ
عُجْرَتُكُمْ مَدَامَعِي وَالْعَوِيلُ
غُوطَةُ الشَّامِ هَلْ شَجَاكَ يَبَانُ
مَنْ قَرِيضِي كَأَنَّهُ التَّنْزِيلُ

كُلُّ مَجْدٍ يَفْنَى وَيَبْقَى لِشِعْرِي
شَرَفٌ بَازِخٌ وَمَجْدٌ أَثِيْلٌ
بُورَكْتُ نِعْمَةُ الْخَيْالِ وَيَرْضِينِي
خِدَاعُ الْخَيْالِ وَالتَّعْلِيلُ

غربة الروح

في رثاء الفقيه العظيم فارس الخوري

أترعي الكأسَ أدمعاً ورحيقاً
حق بعض الهموم أن لا تُفِيقاً
يا شامي يا قبلة الله للدنيا
ويا راحها المصفي العتيقاً
جل شعري - أقيه بالروح من كل
هوان - والشعر كالعرض يوقى
لي قبور كُنزت فيها شبابي
وصبوحني على المنى والغبوقا
ونعم عُدْتُ (للعقيق) ولكن
فارق الأهل واللدات (العقيقا)
غُربتني غُربتني على النأي والقرب
أراني إلى دجأها مسووقا
ضاق لبنانُ بي وكان رحيباً
وتنزي حقدًا وكان رفيقاً
دلّهتني (سمراء لبنان) أطياباً
وقدأ مهفها ممشوقاً

١٩٦٢/١١/١٨

سرُّ الضحى*

وما حاجتي للنور والنورُ كامنٌ
بنفسي لا ظلٌ عليه ولا سِترٌ
وما حاجتي للأفقِ ضحيانَ مُشرقًا
ونفسي الضحى والأفقُ والشمسُ والبدرُ
وما حاجتي للكائناتِ بأسرها
وفي نفسي الدنيا وفي نفسي الدهرُ
يريدون أسرارِي ولَّيلٍ سره
إذا نقَّبوا عنه وما للضحى سرٌ
ونفسي لو أنَّ الجمرَ مسَّ إباءها
على بشرها الريانِ لا حترقَ الجمرُ
تَلَفَّتْ لا شَملي جميعٌ ولا الهوى
قريبٌ ولا فرعُ الصبي عبقٌ نضرُ

* من قصيدة (الشهيد) في حفلة تذكري منانوا عام ١٩٤٥

وفاء القبور

إلى ابنتي (جهينة) الوردة النقية الندية التي استأثر بها الله في ربيع
صبابها فهي بين يديه في جنة الخلود عطور - ونغم - وجمال

إِنِّي أَكْرَمُ شَعْرِي فِي مَتَارِفِهِ
كَمَا تُكْرَمُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ السُّورُ
هَدِيَّةُ اللَّهِ فِيهَا عَطْرُ جَنَّتِهِ
وَالْخَمْرُ وَاللَّعْسُ النَّشْوَانُ وَالْحَوْرُ
وَبُلْبُلُ الدَّوْحِ تُرْضِيهِ بِأَيْكَتِهِ
نُعْمَى الْجَمَالِ وَيُرْضِي غَيْرَهُ الثَّمَرُ
وَمَا تَمْنَى خِيَالِي أَنَّنِي مَلَكٌ
فَوْقَ الْمَلَائِكِ زَهُوًّا أَنَّنِي بِشَرُّ
أَقِيمُ مَا شِئْتُ فِي عَدْنٍ وَأَتْرَكُهَا
وَأَخْلَعُ الْجِسْمَ أَحْيَانًا وَأَتَّزِرُ

استنبول في ١٢ نيسان - إبريل ١٩٥٨

خلع الحياة على البلى

في رثاء أحمد شوقي

لا الأمل يسلبك الخلود ولا الغد
هيهات أنت على الزمان مخلص
تجدد الدنيا وقلبك وحده
دنيا تعيد شبابها وتجدد
خلع الحياة على البلى فكأنه
للبعث من قبل الأوان يمهّد
في كل قافية حياة تجتلي
ومنى تضوع وزفرة تتردد
يا شاعر الدنيا لقد أسكرتها
ماذا تغنيها وماذا تشيد
خفت بزيتها إليك مشوقة
سكري تعب كؤوسها وتعربد
وجلّت على الشعراء قبلك حسنها
لكن أراك شهدت ما لم يشهدوا
والشعر والنغم الشجي ورحمة
تسع الوجود ونقمة تتوعد

فأذهبُ كما ذهبَ الربيعُ على الربى
منه يدٌ وعلى القلوبِ لـه يدٌ
ولك الإمارةُ في البيانِ يُقرها
أَمْسُ الزمانِ ولا يضيقُ بها الغدُ

دموع كعفو الله*

فيا ربُّ لا راعَ الطفولةَ رائِعٌ
ويا ربُّ لا أَلوى بِنَعْمائِها كَرُبُّ
إذا عَبَرَاتُ الطِفْلِ مَرَّتْ بِمُجْدِبِ
منَ النَّفْسِ رَوَّتُهُ ففَارَقَهُ الجَدْبُ
دموعٌ كَعَفْوِ اللَّهِ لو مرَّ بِرُدْهَها
على الرَّمْلَةِ الحَرَّى لَنَضَّرَها العُشْبُ
ويا ربُّ مرُّ تُصْبِحُ نَسِيمًا مُعَطَّرًا
على كُلِّ مَحْزُونٍ زَعازِعُها النُّكْبُ

* من قصيدة (الذكرى) التى رثا بها ابن عمه الشيخ على محمد كامل، من الزعماء الوطنيين فى محافظة اللاذقية.

للشعر والشمس هذا الكون.. *

لا الحِقْدُ خَمْرَةٌ أَحْزَانِي وَلَا الْحَسَدُ
مَنْ جَوْهَرِ اللَّهِ صَيْغَ الشَّاعِرِ الْغَرْدُ
سَقَيْتُ أَحْزَانَ قَلْبِي مِنْ عَقِيدَتِهِ
فَأَسْكُرُ الْحُزْنَ مَا أُغْلِي وَأَعْتَقِدُ
ظَمِئْتُ وَالشَّمْسَ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ أَنْفٍ
وَرُخْتُ وَالشَّمْسَ لَا نَعْنُو وَلَا نَرِدُ
أَعْلَاهَا مِنْ فِوَادِي بَعْضَ لَوَعَتِهِ
فَرَنَحَ الشَّمْسَ مَا أَشْكُو وَمَا أَجِدُ
لِلشَّعْرِ وَالشَّمْسِ هَذَا الْكَوْنُ لَا عَدَدُ
يَطْغَى عَلَى النُّورِ فِي الدُّنْيَا وَلَا عُدَدُ

* من قصيدة (خمرة الأحزان) في رثاء الشاعر اللبناني شبلي الملاط.

تعانقتُ مرَّيْمُ فيه وآمنة*

صَانَتْ مُسَوِّحُكُمُ الْفُصْحَى وَكَانَ لَهَا
مِنْكُمْ بِمَحْتَهَا الْأَرْكَانُ وَالْعُمْدُ
قَرَّتْ بِأَذِيرَةِ الرَّهْبَانِ يَغْمُرُهَا
شَوْقُ الْبَنِينَ وَحُبُّ مُتَرَفٍّ رَغْدُ
وَلِلْأَذَانِ وَلِلنَّاقُوسِ مِنْ قَسْدٍ
عَهْدٌ عَلَى الْحُبِّ وَالْغُفْرَانِ يَنْعَقْدُ
تَعَانَقَتْ مَرَّيْمُ فِيهِ وَآمَنَةُ
وَحَنٌّ لِلرَّشَدِ الْإِيمَانُ وَالرَّشَدُ

* من قصيدة (خمرة الأحزان).

تُكَلُّ الْأُمُومَةُ

إلى روح أخى كامل مروة صاحب جريدة "الحياة"

مَا لِلْمَنِيَّةِ أَدْعُوها وَتَبْتَعدُ
أَمْرٌ مِنْ كُلِّ حَتْفٍ بَعْضُ مَا أَجْدُ
ظَمَانُ أَشْهَدُ وَرَدَ الْمَوْتَ عَنْ كُشْبِ
وَالْوَارِدُونَ أَحْبَبُّ لِي وَلَا أَرْدُ
عَلَّتُ بِالصَّبْرِ أَحْزَانِي فِيمَا لَأْسَى
بِالْجَمْرِ مِنْ نَفْحَاتِ الْجَمْرِ يَبْتَرِدُ
أُمَّاهُ، دَمْعُكَ تَبْكِي مِنْ مُوَاجَعِهِ
شُبُّمُ الْبَوَاذِخِ وَالْأَفْلَاكُ تَرْتَعِدُ
تُكَلُّ الْأُمُومَةُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَتُهُ
كَحُرْمَةِ الْحَقِّ لَا سِثْرٌ وَلَا بَعْدُ
تُكَلُّ الْأُمُومَةُ حَفَّ الْأَنْبِيَاءِ بِهِ
يَهْدِدُونَ مِنَ الْأَلَامِ وَاحْتَشَدُوا

الهائنون بسلم*

خُطُوبُهُمْ لَا خُطُوبُ الدَّهْرِ ضَارِيَةٌ
عَلَى الْعَرُوبَةِ إِنْ حَلُّوا وَإِنْ عَقَدُوا
الهائنون بسلم لا حُماةَ لَهُ
فَدَاءُ مَنْ زَحَمُوا الْجُلَى وَمَنْ نَهَدُوا
الْقُدْسُ مَلْحَمَةٌ مِيدَانُهَا أزدَحَمَتْ
بِهِ الْكُفَاةُ وَخَيْلُ الْحَقِّ تَطَّرِدُ
وَرَمْلُ سَيِّئَاءَ لَحْدٌ هَبَّ مُتَفَضِّضًا
بِكُلِّ مَنْ سَقَطُوا غَدْرًا وَمَا لِحْدُوا

* من قصيدة (ثكل الأمومة).

إيه حكيم الدهر !

قيلت في مهرجان المعرى الألفى

الدهرُ ملكُ العبقريّة وحدها
لا ملكُ جبارٍ ولا سَفَّاحِ
والكَوْنُ في أسرارهِ وكنُوزهِ
للفكّر لا ليوغى ولا لِسِلاحِ
سُكْرُ العقيدة أين من آفاقهِ
سُكْرُ العيونِ وأين سُكْرُ الرّاحِ
لا تشكُ من قصرِ الحياة فربّما
أغنتُ إشاراتها عن الإفصاحِ
أعمى تَلَفَّتِ العصورُ فما رأتُ
عند الشّمسِ كنوره اللّماحِ
نَفَذَتْ بصيرته لأسرارِ الدّجى
فتبجّرت منها بألفِ صبايحِ
أمُصَّورُ الدُّنيا جَحيماً فائراً
يرمي العصورَ بجمرهِ اللّفايحِ
عرى السّرائر والنّفوسِ ممزّجاً
عنهنّ كلّ غلالةٍ ووشاحِ
إيه رهينَ الحبّسينِ أَلَمْ يثنِ
إطلاقَ مأسُورٍ وفكُّ سَراحِ

ظَفَرَتْ بِرَحْمَتِكَ الْحَيَاةُ وَصَتَّهَا
عَنْ كُلِّ نَاعِسَةٍ الْجَفُونَ رِدَاحِ
أَتَضَيِّقُ بِالْأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ
بِالْوَحْشِ بَيْنَ سَبَاسِبٍ وَبِطَاحِ
يَا ظَالِمَ التُّفَّاحِ فِي وَجَنَاتِهَا
لَوْ ذُقْتَ بَعْضَ شَمَائِلِ التُّفَّاحِ
هِيَ صُورَةٌ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
عَزَّتْ نَظَائِرُهَا عَلَى الْأَلْوَابِ
مَنَحَتْ بِقُدْرَتِهِ النِّعِيمَ وَلَوْنَتْ
أَنْوَارَهُ جَلَّتْ يَدُ الْمُنَّاحِ
إِيهِ حَكِيمَ الدَّهْرِ أَيُّ مَلِيحَةٍ
ضَنْتُ عَلَيْكَ بِعِطْرِهَا الْفَوَاحِ
لَوْ أَنْصَفْتُ لَسَقَّتْكَ خَمْرَةٌ رِيْقَهَا
سُكَّرَ الْعُقُولِ وَفِثْثَةَ الْأَرْوَاحِ
الْعَبْقَرِيَّةُ وَالْجَمَّالُ تُحَدِّدَا
مَنْ نَبْعَةٍ وَتَسْلُسِلَا مِنْ رَاحِ
الظَّالِمَانِ الْمَالِكَانِ وَنِعْمَةٌ
مَا أَسْلَفَا مِنْ زَلَّةٍ وَجُنَاحِ

أُطْلِّ من حرمِ الرؤيا فغزاني

ما للخلود وما للحُسْن يزعمه
هيهات عُرِّي من حُسْنٍ وإتقانٍ
يُضفي الجمال على الأيام مُقْتَدِرٌ
من (التَحَوُّل) ذو عِزٍّ وسُلْطانٍ
عنا له الكونُ مأخوذاً بفَتْشَتِهِ
من أنْجُمٍ ومَكَانَاتٍ وأزْمَانٍ
وعاطِفَاتٍ وأرواحٍ وأخِيلَةِ
تَغْزُو الوجودَ وآراءٍ وأديانٍ
وربِّما فَقِهَتْ مِنْ أمرِهِ عَجَباً
قَبْلَ الهُدَاةِ عصا موسى بْنِ عِمْرَانَ
لِيُؤْمِنَ النَّاسُ مَا شَاءُوا بِرَبِّهِمْ
فَبِالتَّحَوُّلِ بَعْدَ اللَّهِ إِيْمَانِي
تَسْمُو إِلَى أَفْقِهِ الْقُدْسِي طَاهِرَةً
طَهَّرَ الدَّمْعَ تسابيحِي وألْحَانِي
كَفَرْتُ بِالرُّوحِ بَعْدَ الرِّيبِ أَوْنَةً
وَكَيْانَ زُلْفَى إِلَى نَجْوَاهُ كُفْرَانِي
إِنَّ الْخُلُودَ وَمَا تَرَوِي مَزَاعِمُهُمْ
عَنِ السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَى نَقِيضَانِ

لَا يَخْدَعُ اللَّهُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِهِ
 فَتِلْكَ خُدْعَةُ إِنْسَانٍ لِإِنْسَانٍ
 جَنَّانٍ رَبِّكَ فِي سِرِّ الْخُلُودِ غَدَتُ
 وَكُلُّ أَوْ إِلَيْهَا رَازِحٌ وَإِنْ
 مَلَّ الْمُقِيمُونَ فِيهَا مِنْ هَنَاءَتِهِمْ
 كَمَا يَمَلُّ السَّقَامَ الْمُدْنِفُ الْعَانِي
 تَمْضِي الْعُصُورُ عَلَيْهِمْ وَهِيَ وَاحِدَةٌ
 الْيَوْمُ كَالْأَمْسِ فِيهَا ضَاحِكٌ هَانِي
 يَا شَقْوَةَ النَّفْسِ تَخْلُو بَعْدَ أَنْ عَمَرَتْ
 مِنْ حَسْرَةٍ وَلُبَانَاتٍ وَأَضْغَانٍ
 أَمَّا الْغَوَانِي فَصَخْرٌ لَا يُحَرِّكُهَا
 نَجْوَى مُحِبٍّ وَلَا تَذَلِيلٌ وَلَهَانٍ
 لَا تَعْرِفُ الْحُبَّ إِلَّا مَحْضَ تَلْبِيَةِ
 لِعَابِرِينَ مِنَ الْأَبْرَارِ فَثِيَانٍ
 جَنَى الْخُلُودِ عَلَيْهَا فَهِيَ شَاكِيَةٌ
 إِلَى الْأَنْوَاثَةِ ذَاكَ الْخَائِنِ الْجَانِي
 وَلِلْخُلُودِ عَلَى أَهْلِ الْجَحِيمِ يَدٌ
 تُجْزِي مَعَ الدَّهْرِ إِحْسَانًا بِإِحْسَانٍ
 لَا يَأْلَمُونَ وَلَا تَشْكُو جَسُومَهُمْ
 مِنَ اللَّظَى فَهِيَ نِيرَانٌ بِنِيرَانٍ

طَوَّفْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ
طَوَّافٍ أَشْعَثَ مَاضِي الْعَزْمِ يَقْظَانِ
تُظِلُّنِي مِصْرُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةُ
أَعَاقِرُ الْخُمُرِ فِي جَنَّاتِ بَغْدَانِ
وَقَدْ صَحِبْتُ شُعُوبَ الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
شَمَّ الْأَنْفُوفَ إِلَى رُومٍ وَكِلْدَانِ
مُفْتَشِّشًا عَنْ عِزَاءِ النَّفْسِ لَا لِعِيبِي
أَدَى إِلَيْهِ وَلَا حِلْمِي وَعِرفَانِي
فَمَا رَأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلَا أَثَرًا
وَلَا أَفَادَ طَوَافِي غَيْرَ خِذْلَانِي
إِذَا نَدَبْتُ جُهوْدِي وَهِيَ ضَائِعَةٌ
أَطَلَّ مِنْ حَرَمِ الرُّؤْيَا. فَعِزَّانِي
آمَنْتُ بِالْحَبِّ مَا شَاءَتْ عَذُوبَتُهُ
آمَنْتُ بِالْحَبِّ فَهُوَ الْهَادِمُ الْبَانِي

جنان لبنان*

منازل الخلد لا أرباع لبنان
وفتنة السحر لا آيات فنان
جنان لبنان حسبي منك وارفة
ففيها النديان من روح وريحان
شباب النبیون في أفيائها وحب
فيها خيالات إنجيل وقرآن
بليسة بدموع الله ما وسنت
إلا وبين خوافيها حبيبان
يغفوها الفجر في أحضان مورقة
مديدة الظل سكرى الأس والبان
سقتة من خمرها قبل الكرى عللا
فبعض أحلامه أحلام سكران
صحبتي فيك شبابي والهوى ومنى
لغس الشفاه وظلا غير ضحيان
ألح بي السقم حتى لا يفارقني
وراح ينسج قبل الشيب أكفاني
يثير بي كل حسن فتنة وهوى
فما أمر بماء غير صديان

* من قصيدة (أطل من حرم الرؤيا فغزاني).

ويا ربّي الحُسْنِ هلْ مِنْ نَفْحَةٍ حَمَلَتْ
شَذَى النُّهُودِ لَصَادِي الْقَلْبِ حَرَّانِ
وَهَلْ صَبَاكَ نَمُومُ الْعِطْرِ نَاقِلَةً
بَغْدِي أَحَادِيثَ أَذْيَالٍ وَأَرْدَانِ
أُعِيذُ بِالْحُبِّ وَالذِّكْرِى هَوَى نَفَرِ
بِيضِ الْوَجْهِ مِنَ النِّعْمَاءِ غُرَّانِ

ما شأنُ هذا الأَشعثِ الجَوَّابِ

هَلْ عِنْدَ أَنْجُمِكَ الضَّوَّاحِيكَ مَا بِي
يَا لَيْلَ إِشْرَاكِ وَصُبْحَ مَتَابِي؟
طَهَّرْتُ آثَامِي الْبَرِيئَةَ فِي لَظِي
قُبَلِ كَأَخْلَامِ النِّعَمِ عَذَابِ
فَأَدِرْ عَلَيَّ سُلَافَ رِيْقِكَ وَاسْتَقْنِي
وَاسِقَ النَّدِيمِ سُلَافَةَ الْأَعْنَابِ
وَإِذَا عَتَبْتُ عَلَى لَمَّاكَ فَرُبَّمَا
سَمَحَ الْحَبِيبُ بِرَشْفَةِ الْأَعْتَابِ
وَسَدْتُكَ الْيُمْنَى لَعَلِّي فِي غَدِ
أَرْدُ الْحَسَابِ وَوَجْتَسَاكَ كِتَابِي
وَنَعِمْتُ أَلْمَحُ فِي جُفُونِكَ رَغْبَةً
خَجَلِي صَرِيْعَةً نَشْوَةً وَدُعَابِ
لَا تَغْفُ تَحْلُمُ بِالنَّجْمِ فَيَرْتَمِي
مِنْهَا لِرَشْفِ لَمَّاكَ أَلْفُ شِهَابِ
لَا تَغْفُ وَأَنْتُمْ فِي هَوَاكَ وَلَا تَخَفُ
نُسْكِي أَمَانُكَ فِي غَدِ وَثَوَابِي
هَيْهَاتَ وَزُرْكَ لَا أَنْوَأُ بِحَمْلِهِ
إِنْ صَحَّ أَمْرُ قِيَامَةِ وَحِسَابِ

يَا رَبِّ عَفْوَكَ قَدْ ثَمَلْتُ فَخَلَّنِي
 لَغَوَايَتِي وَتَهْتُكِي وَشَرَّابِي
 فَإِذَا الْحَيَاةُ عَلَى جَلَالَةٍ قَدَرَهَا
 دَارِي وَهَذَا الْأُنْفُقُ بَعْضُ رَحَابِي
 وَإِذَا الْكَوَاكِبُ مِنْ لِدَاتِ طِفُولَتِي
 وَالْكَوْنُ وَالْأَجْيَالُ مِنْ أَصْحَابِي
 نَزَلْتُ عَلَى فَقْرِي وَأَعْوَزَهَا الْقَرَى
 هَذَا دَمِي وَلُبَانَتِي وَشَبَابِي
 ذَاكَ الْبَيَّانُ عَلَى مَرَارَةٍ كَأَسْه
 سُكْرُ الْعُقُولِ وَفِتْنَةُ الْأَلْبَابِ
 أَفْضَى إِلَى الْأَخْلَاقِ وَهِيَ مَصُونَةٌ
 أَتَرَاهُ يَكْتُمُ سِرَّهَا وَيَحُابِي
 مَالِي وَلِلْأَخْلَاقِ يَغْمُرُ سِرَّهَا
 عَنَتَ الْغَيْبِيِّ وَخُدْعَةَ الْمُتَغَابِي
 الْغَدْرُ فِي دَاوُدَ^(١) بَعْدَ مَشْيِبِهِ
 وَرِعَايَةُ الْأَضْيَافِ مِنْ رَحَابِ^(٢)
 ظَمَأَى إِلَى الْقُبَلِ الْأَثِيمَةِ عَذْبَةً
 كَالْبَابِلِيِّ مَرِيرَةً كَالصَّابِ

١ - إشارة إلى ما ذكرته التوراة من إرسال داود أحد قواده للمعركة ليستأثر بامراته .

٢ - راحاب اسم بغى ورد فى التوراة وقد أخفت جاسوسين كانا عندها فلم تتبع بأمرهما .

ليلة عريانة*

مَرَحَى لِبَائِعَةِ السُّرُورِ وَلَا انْطَوَتْ
ذَكَرَاكَ مِنْ نَشْوَى الدَّلَالِ كَعَابِ
أَزْرَى بِعِفَّتِكَ الْجَمَالُ وَخَلْفَهُ
سُكْرَانُ سُكْرٍ هَوَى وَسُكْرُ شَبَابِ
مَرَحَى وَإِنْ عَصَرَ الشَّقَاءُ سُلَافَةً
مِنْ وَجْنَتِكَ أَثِيمَةً الْأَكْوَابِ
مِخْرَابُ حُسْنِكَ قَدْ وَقَفْتُ بِبَابِهِ
وَسَجَدْتُ أَعْبُدُ دُمِيَّةَ الْمِخْرَابِ
وَلَمَحْتُ فِيهِ جَلَالَ حُسْنِكَ رَاقِداً
فَوْقَ الشَّفَاهِ اللَّعْسِ وَالْأَهْدَابِ
وَسَكِرْتُ مِنْ أَحْلَامِهِ بِسُلَافَةٍ
عَجِيبٍ وَمِنْ آهَاتِهِ بِمَلَابِ
جُبْتُ الظَّلَامَ فَلَمْ أَدْعُ مِنْ دُجْنَةٍ
إِلَّا غَدَائِرَ شَفْعِكَ الْمُتَجَابِ
وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الْهَوَى لَمْ يَخْفِهِ
فِي مَخْدَعِ الشَّهَوَاتِ أَلْفُ نِقَابِ
فِي ذِمَّةِ الذِّكْرِ بِقَايَا لَيْلَةٍ
عُرْيَانَةٍ مَجْنُونَةٍ الْآرَابِ ...

* من قصيدة (ما شأن هذا الأشعث الجواب).

الحقيقة*

وَسَخِرْتُ بِالْأَوْهَامِ عَصْرَ شَبِيبَتِي
وَحَسِبْتُ فَيْضَ الْمَاءِ لَمَعَ سِرَابٍ
فَالْيَوْمَ تَخْشَعُ لِلْخُرَافَةِ حُكْمَتِي
وَيَطُوفُ حَوْلَ قِبَابِهَا إِعْجَابِي
وَأَرَى بِهِ طَيْفَ الْحَقِيقَةِ كَامِنًا
خَلْفَ الْحِجَابِ وَلَاتَ حِينَ حِجَابِ
قَتَلْتُ هَوَايَ وَحُكْمَتِي وَتَجَارِبِي
فَأَنَا الشَّهِيدُ وَهَذِهِ أَسْلَابِي
حَسَنَاءُ تَلْتَفِعُ الْبُرُودَ قَدِيمَةً
يَا لَيْتَهَا رَضِيتُ جَدِيدَ إِهْلَابِي
فَاخْشَعُ لِحَالِيَةِ الشَّبَابِ وَرَبِّمَا
شَهِدْتُ وَكَانَ الدَّهْرُ فِي الْغُيَّابِ
تَفَنَّى لِتَقْتَبِلَ الْحَيَاةَ نَضِيرَةً
سَمَحَاءَ بَعْدَ تَنَازُعٍ وَغِلَابِ
عُبِدْتُ وَسُبِّتُ فَهِيَ مِنْذُ تَبَرَّجَتْ
لِلْكَوْنِ بَيْنَ عِبَادَةٍ وَسَبَابِ
مَثَلُ الْحَقِيقَةِ كَالْجَمَالِ وَرَبِّمَا
مَتَّتُ إِلَيْهِ بِأَقْرَبِ الْأَسْبَابِ

* من قصيدة (ما شأن هذا الأشعث الجواب).

سُبْحَانَ مَنْ نَثَرَ الْحَقِيقَةَ حَفْنَةً
قُدْسِيَّةً مِنْ حِكْمَةٍ وَصَوَابٍ
تُذَرِي الرِّيحُ بِهَا مَدَامَعَ رَحْمَةٍ
بَيْنَ الْعَقَائِدِ أَوْ سَيَاطِ عَذَابٍ
فَالْمَحُ نَثَرَ ضِيَاءَهَا فِيمَا تَرَى
مِنْ دَعْوَةٍ وَخُرَافَةٍ وَكُتَابٍ
يَا سَيِّدَ الصَّرْحِ الْمُمَرَّدِ دُونِهِ
حُجُبُ الْمَنُونِ وَقَسْوَةُ الْحُجَّابِ
بَيْتُ الْحَقِيقَةِ طَافَ فِي أَرْكَانِهِ
ذُلُّ الْعَبِيدِ وَعِزَّةُ الْأَرْبَابِ
تَتَخَايَلُ الْأَسْرَارُ فِيهِ وَتَخْتَفِي
مَعَهَا طُيُوفُ السِّحْرِ وَالْإِغْرَابِ
أَشْرِقُ بِالْأَلَاءِ الْيَقِينِ وَسِرِّهِ
فَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَلْهُمُ فِي الْبَابِ
عَيْسَى وَرَحْمَتُهُ وَأَحْمَدُ وَالرُّؤْيُ
وَالْوَحْيُ نُورٌ مَفَاوِزِ وَشِعَابِ
وَرَيْبٌ مُصْرَ تَطُوفُ حَوْلَ جَمَالِهِ
رَيْبُ الْغَيُورِ وَخُدْعَةُ الْمُغْتَابِ
وَحَمَلْتُ أَسْمَالِي إِلَيْكَ وَشَافِعِي
لَهَوِي فَتَاتِكَ غُرْبَتِي وَعَذَابِي
فَاسْخَرُ بِإِذْلَالِي عَلَيْكَ وَقُلْ لَهَا:
مَا شَأْنُ هَذَا الْأَشْعَثِ الْجَوَّابِ؟

حيرة النفس

شَجَّاهَا مِنْ عَهْدِكَ مَا شَجَّاهَا
وَجَنَّ اللَّيْلُ فَاذْكُرْتُ أَسَافَهَا
هَفَّتْ لِشَبَابِهَا وَصَبَّتْ إِلَيْهِ
وَرَقَّ لَهَا النَّصِيحُ فَمَا لَهَا
وَهِيَ هَاتِ الشَّيْبَابُ وَأَيْنَ مِنْهُ
مُنَى لِلنَّفْسِ تَعَثُّرُ فِي وَجَّاهَا
كَبَّاهَا وَرَكَّابُ الْأَعْوَامِ فِيهِ
مَنْ الْعَشَّارِينَ لَمْ تَنْقُلْ خُطَاهَا
مُعَذِّبَةٌ إِذَا لَمَحَتْ جَمَّالًا
هَفَّتْ وَجَدًا وَعَاوَدَهَا ضَنَاهَا
هَدَاهَا اللَّهُ مِنْ حَيْرِي أَضَاعَتْ
لُبَّائِثَهَا وَبَارَكَ مَنْ هَدَاهَا
تُسَائِلُ عَنْ أَخِيهَا مَنْ تُلَاقِي
وَكُلَّ أَخِيَّةٍ وَجَدَتْ أَخَاهَا
أَخْتُ الدَّوْحِ حَسَنُوكَ لَا تُغْنِي
فَأَخْتُ السُّرْبِ قَدْ فَقَدَتْ طَلَاهَا
بَرِئْتُ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غُورَةٍ
تَفَرُّ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى دُجَاهَا

تُرِيدُ رِضَاكَ تَقْيِيدًا وَأَسْرًا
وَأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاهَا
عَبَدْتُكَ فِي الْجَمَالِ وَلَا أُبَالِي
ضَلَالُ النَّفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُدَاهَا
فَفِي نَفْسِي جَحِيمُكَ مَنْ سَيَصِلُ
بِهَا لَشِقَائِهِ وَمَنْ اصْطَلَاهَا
وَفِي نَفْسِي السَّمَاءُ وَفَرَقْدَاهَا
وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ وَمَنْ رَقَاهَا
وَهَلْ مِنْ أُنَّةٍ خَفِيَتْ وَدَقَّتْ
أَسَى إِلَّا وَفِي نَفْسِي صِدَاهَا
فِيَا لَكَ مِنْ عَمَى وَسَلِمْتُ عَيْنًا
لَوْ اخْتَارْتُ لِمَا تَرَكْتُ عِمَاهَا
وَيَا لَكَ حَيْرَةً عَرْضْتُ لِمُوسَى
فَضَلَّ سَبِيلَ غَايَتِهَا وَتَاهَا
أَرَادَ جَلَاءَهَا نَفَرٌ كَرِيمٌ
فَجَلَّلَهَا الْغُمُوضُ وَمَا جَلَاهَا
فَتَحْتُ سَرِيرَتِي صَفَحَاتِ نُورٍ
وَقَدْ خَبَّرَ الصَّحِيفَةَ مَنْ تَلَاهَا
وَزَحَزَحْتُ الْحِجَابَ عَنِ الْخَفَايَا
وَقُلْنَا شَقْوَةٌ بَلَغَتْ مِدَاهَا

واجلّت نفسي في النور

أَيْنَ أُمْسِي؟ فَرًّا لَا يُلَوِي بِهِ
مُجْتَلِي بَدْرٍ وَلَا لَأْلَاءُ شَمْسِ
حَازَهُ الدَّهْرُ وَمَرَّتْ فَوْقَهُ
لُجَجٌ أَخْطَأَهَا عَدِّي وَحَدْسِي
قَالَ أُمْسُ هَاتِ عَنْ صَاحِبِنَا
وَابْعَثِ الذِّكْرَى فطُولُ الْعَهْدِ يُنْسِي
قَدْ تَمَلَّيْتُ بِهِ غَضَّ الصَّبِي
زَيْرَ حَسَنَاءَ وَوَرَقَاءَ وَكَأْسِ
قَالَ أُمْسُ وَأَنَا عَهْدِي بِهِ
نَضْبُو أَوْرَادٍ وَتَسْبِيحٍ وَدَرْسِ
رَضِيَ الصَّوْفَ فَمَا يَغْرِفُهُ ...
نَاعِمُ الْخَزْرَ وَلَا غَالِي الدَّمَقْسِ
أَيْنَ مَا تَرَوْنَ عَنْ صَاحِبِنَا
عَرِيَّ الْحَقِّ فَلَا عُذْرَ لِلْبُسِ
أَتَقِيَّ وَهُوَ يَنْفِي كُلِّ مَا
لَمْ يُؤَيِّدْ بَيَقِينَ أَوْ بِحِسِّ
أَخْلِيَعُ وَالضَّنَى يُسَلِّمُهُ
فِي رَبِيعِ الْعُمَرِ مِنْ بُرْءٍ لِنُكْسِ

هُوَ - يَعْفُو اللَّهُ عَنْ آثَامِهِ -
سَاخِرٌ صُورٍ مِنْ سُقْمٍ وَيَأْسٍ
مَزَّقَ الْحَقُّ حِجَابًا لِلدُّجَى
وَانْجَلَّتْ نَفْسِي فِي النُّورِ لِنَفْسِي

فلسفة الحقيقة

أَهْنِيهَ قَطَعَ الضُّحَى أُمَّ جِيْلَا
يَوْمَ الْعُفَاةِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيْلَا
مَا ضَرَّ فَجَرَكَ لَوْ تَلَأْ وَأَيََّا
فَلَعَلَّهَا تَغْفُو الْعِيُونُ قَلِيْلَا
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَقِيْقَةَ عَلَقَمَّا
خَلَقَ الْمُنَى لِلْوَارِدِيْنَ شَمُوْلَا^(١)
تَصَارَعَانِ وَلَا تَرَى إِحْدَاهُمَا
ظَفِيرًا لَتَبْسُطَ حُكْمَهَا وَتَطُوْلَا
وَالْكَوْنُ بَيْنَ الضُّرَّتَيْنِ مَقْسَمٌ
فَاشْهَدْ قَبِيْلًا يَسْتَبِيحُ قَبِيْلَا
قُلْ لِلْحَقِيْقَةِ إِنَّ قَسَوْتَ فَرِيْمَا
فَكَ الزَّمَانُ أَسِيرُكَ الْمَكْبُوْلَا
إِنْ تَمْلِكِي الدُّنْيَا وَسِرَّ كُنُوْزَهَا
لَمْ تَمْلِكِي الْأَخْلَامَ وَالتَّأْمِيْلَا
أَفُقُ الْمُنَى أَحْنَى وَأَرْحَبُ عَالَمًا
وَأَحْنُ أَفِيَاءَ وَأَزِيْنَ سُوْلَا
هَذِي الْحَيَاةُ عَنَّتْ لِبَاسِكَ رَهْبَةً
فَتَسَمِّعِي لَجْبًا بِهَا وَصَهِيْلَا

١ - الشمول : الخمرة.

والعِلْمُ إِنْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَسَمُّهُ
 وَخُشْيَةٌ وَادَعُ الْحُضَارَةَ غِيلاً
 عَفَى عَلَى حَرَمِ الْخِيَالِ وَقُدْسِهِ
 أَوْ مَا تَرَى حَرَمَ الْخِيَالِ أَزِيلاً
 عَهْدِي بِهِ وَالشُّعْرُ فِي أَذْوَاحِهِ
 نَدَى الْقُلُوبِ أَغْنَانِيًا وَهَدِيلاً
 وَدُمِّي وَرَدَّنَ عَلَى الْغَدِيرِ وَمَا اتَّقَتْ
 حُسْنًا وَهْنُ الشَّاعِرِ الضَّلِيلِ (٢)
 وَفَتَى (٣) قُرَيْشٍ وَهُوَ يَقْتُلُ طَرْفَهُ
 لِيَرَى الثُّرَيَّا وَالْهَامَّ مَخْبُولاً
 وَسُكَيْنَةَ وَالشُّعْرُ ضَعِيفٌ نَدِيهَا
 وَالْحُسْنُ يَنْعَثُ شَجْوَهُ فَيَقُولُ
 وَأَبَا نُوَّاسٍ فِي مَجَالِسِ لَهْوِهِ
 قَسَمَ اللَّيَالِي سَكْرَةً وَذُحُولاً
 وَتَرَى ابْنَ بُرْدٍ وَهُوَ فِي نَزَوَاتِهِ
 لَيْثًا تَحَامَاهُ الْوَرَى مَعزولاً
 زَعَمْتَهُ أَهْوَاءُ السِّيَاسَةِ كَافِرًا
 تَالَهُ مَا بِالْكَفْرِ رَاحَ قَتِيلاً

٢ - امرؤ القيس .

٣ - عمر بن أبي ربيعة .

سَقِيًّا لِنَعْمَاءِ الْخِيَالِ وَلَا رَأَتْ
عَيْنَايَ رَبْعًا مِنْ هَوَاهُ مَحِيلاً
حَرَمَ الْخِيَالِ فَدَى رُؤَاكَ حَضَارَةً
قَدْ مَثَّلْتَكَ لِتُخْطِئَ التَّمْثِيلُ
إِنِّي لِأَلْمَحُ فِي الْغُيُوبِ رَسَالَةً
وَأَرَى وَرَاءَ الْغَيْبِ مِنْكَ رَسُولًا
إِنْجِيلَ عَيْسَى فِي الْحَنَانِ وَإِنْ يَكُنْ
فِي غَيْرِ ذَاكَ يُخَالِفُ الْإِنْجِيلُ
وَيَبَيِّنُ أَحْمَدَ : قُوَّةً وَعُذُوبَةً
وَنُهًى وَرَأْيًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
عَفَى عَلَى مَدَنِيَّةٍ صَخَّابَةٍ
يَذَرُ الْخَلِيَّ ضَجِيجُهَا مَشْفُوعًا
يُمْنِي تُعِدُّ لَكَ الْمَتَاعَ وَأُخْتُهَا
تَلِدُ الشَّقَاءَ وَتَخْلُقُ التَّكْيِيلُ
هَذَا كِتَابُ الْغَيْبِ فِيهِ رَحْمَةٌ
تَسَعُّ الْبَرِيَّةَ مُتَرْفًا وَمُعِيلاً
غَسَلَ الْوُجُودَ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْهَوَى
لِتَجِلَّ رُوحُ اللَّهِ فِيهِ حُلُولًا

الدمية المحطمة

أَيَا دُمِيَّةً أَنْشَأْتُهَا وَعَبَدْتُهَا
كَمَا عَبْدَ الْغَاوُونَ مَنْحُوتَ أَحْجَارِ
جَمَعْتُ بِهَا الدُّنْيَا فَكَانَتْ سُلَافَتِي
وَكَأْسِي وَنُذْمَانِي وَأَهْلِي وَسُمَّارِي
جَمَالُكَ مِنْ سِحْرِي وَعِطْرُكَ مِنْ دَمِي
وَفِشْتُكَ الْكَبْرَى خِيَالِي وَأَشْعَارِي
خَلَقْتُكَ مِنْ أَهْوَاءِ نَفْسِي وَنَوَّعْتُ
بِكَ الْحُسْنَ أَهْوَائِي وَحُبِّي وَأَوْطَارِي
رَدَدْتُكَ لِلطِّينِ الْوَضِيعِ وَمَا حَنَا
عَلَى رَوْضِكَ الْهَانِي هُبُوبِي وَإِعْصَارِي
وَفَارَقْتُ إِذْ فَارَقْتُكَ الطِّينَ وَخُدَّهُ
وَعَادَتْ إِلَى نَفْسِي عَطُورِي وَأَنْوَارِي

الكعبة السمراء

نَائِيَةَ الْقُطُوفِ كُلِّ نَجْمَةٍ
مِنْ شَفَقَتِي دَانِيَةَ الْقُطُوفِ
كُلُّ لُبَانَاتِي طَيِّفٌ وَرُؤْيٍ
كَأَنَّهُنَّ شَطْحَاتُ صُوفِي
كَعَبَتِي السَّمَرَاءُ قَدْ لَقِيَتْهَا
بَيْنَ عَوِيلِ الْجَنِّ وَالْعَزِيفِ
تَبَرَّجَتْ لَكَ الشُّفُوفُ دَلْهًا
يَا مَنْ رَأَى تَبَرُّجَ الشُّفُوفِ
وَرَنَوَةَ الْحَيِّ أَلْفُ قِصَّةٍ
عَنِ الْهَيَّوَى وَغَمَزَةِ الْعَفِيفِ
شَرِبْتُ أَقْدَارِي فِي مَصْفَى
شَهْدِكَ حَتَّى سَكِرْتُ حَتُوفِي
وَالنَّاهِدَانِ وَثَبًا كَرَصَدٍ
عَلَى الْكُنُوزِ الْحَالِمَاتِ يُوفِي
تَحَالَفًا تَصَوُّنًا وَعِزَّةً
وَأَمْتَنَنْعَ الْحَلِيفُ بِالْحَلِيفِ
تَعْطَّرِي فَهَذِهِ صَبَابَتِي
وَإِكْتَحَلِي فَهَذِهِ حُرُوفِي

١٩٦٢/١٢/٨

العدراء الخائنة

أَحْيَيْتُهَا سَـاخِرَةً كَالرُّؤَى
مُبْهَمَةً غَامِضَةً كَالظُّنُونِ
يَا صُورَةً أَبَدَعَ تَكْوِينُهَا
فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ إِلَهَ الْفُنُونِ
وَنَعْمَةً مِنْ بَعْضِ أَلْحَانِهَا
هَمْسُ اللَّيَالِي وَارْتِعَاشُ الْغُصُونِ
لَا تَخْدَعِينِي إِنَّنِي عَالِمٌ
بِمَا تُبَيِّنِينَ وَمَا تَكْتُمِينَ
أَرَى عَلَى خَدَّيْكَ فِيمَا أَرَى
بِأَلْفِ لَوْنٍ قُبَلَ الْعَاشِقِينَ
مِنْ قُبْلَةٍ خَائِنَةٍ مُرَّةٍ
وَقُبْلَةٍ وَادِعَةٍ فِي الْجَبِينِ
وَقُبْلَةٍ حَمْرَاءَ مِثْلِ اللَّظَى
وَقُبْلَةٍ بَيْضَاءَ مِثْلِ الْيَقِينِ

فَطَالَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ

أَحِبُّكَ عَنْ يَأْسٍ وَمَا حُبُّ أَمَلٍ
بِأَقْرَبَ فِي نَجْوَاهُ مِنْ حُبِّ يَأْسٍ
لَقَدْ خُنْتُ حَتَّى لَا يَغَارُ أَخُو هَوَى
أَحَبِّكَ مِنْ وَجْدٍ طَرِيفٍ مُلَابِسٍ
فَفِي كُلِّ غَضٍّ مِنْكَ آثَارٌ قَاطِفٍ
وَفِي كُلِّ بَضٍّ مِنْكَ آثَارٌ لَامِسٍ
فَطَالَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ تَأْوِي مَعَ الدُّجَى
بِجَفْنَيْكَ أَشْبَاحُ الرُّؤَى وَالْهَوَاجِسِ

شهداء

هَدَيْدُ هَمومَكَ عُنْدِي
عَلَى حَبِيْبَائِي وَصَدِّي
حُورُ النَّعِيمِ تَمَنَّتْ
نُعْمَى هَوَايَ وَوَجْدِي
هَلْ عُنْدَهُنَّ رَحِيقِي
وَهَلْ لَدَيْهِنَّ شَهْدِي
يَا سَاكِبَ الشُّغْرِ خَمْرًا
مَنْ شَغَرَ رَبِّكَ خَدِّي
وَمِنْ مَعَانِيهِ عِطْرِي
وَمِنْ قَوَافِيهِ وَرْدِي
تَأَنَّقَ اللَّهْ دَهْرًا
يُعِيْدُ فِيَّ وَيُبْسِدِي
حَتَّى جَلَانِي شِغْرًا
يَا حَسْبُورَةَ الشُّغْرِ بَعْدِي
خِيَالُهُ السَّمْحُ نَدَى
تَغْشَى وَتَمْنَمُ عِثْدِي
وَقَلْبُهُ كَسَانُ كَاسِي
وَجَفْنُهُ كَانُ مَهْدِي

وَالْأَنْجُمُ الزُّهُرُ حَوْلِي
 دُمِّي لِلَّهِ نَوِي وَعَـدِّي
 فَغَارَتِ الْحُورُ مِنِّي
 وَكُلُّ زُهْرٍ وَمَجْدٍ
 وَهَبٌ فِي رَوْضِ عَـدْنٍ
 عَلَيَّ عَاصِفٌ حَقْدٍ
 فَكَانَ لِلَّهِ حَكْمٌ
 لَشَقَوَتِي بَلْ لِسَـغْدِي
 أَنَا الرِّبِيْعُ الْمُنَادِي
 قَارُورَةُ الْعِطْرِ نَهْدِي
 يَهِيْمُ حُسْنِي بِحُسْنِي
 وَيَجْتَـلِي وَيُقَدِّي
 وَجُنَّ ثَغْرِي بِرِيقِي
 وَحَنَ جِيدِي لَزْنِي
 وَكُلُّ شَيْءٍ حَرِيرٍ
 يَبْـوْدُ لَوْلَفَ قَدِّي
 وَكُلُّ عِطْرِ تَشَهَّى
 أَنْ أَسْفَحَ الْعِطْرَ وَخُدِي
 شَقَرَاءُ تَحْلُمُ شَمْسُ الْـ
 ضَحَى بِخُدِي وَبُرْدِي

رَفَّتْ خُصَيْنَاتٌ شَغَرِي
بِأَشْشَقْرِ النُّورِ جَعْدِ
يَا شَاكِيًا زُورَ وَعْدِي
أَحْلَى مِنْ الْوَصْلِ وَعْدِي
هَيَامُنَا يَا حَبِيبِي
طُيُوبٌ خَمْرٍ وَنَدِ
أَرِيدُ طَيْفًا لَجَفْنِي
أَرِيدُ حُلْمًا لِسُهْدِي
كُلُّ الْمُحِبِّينَ مُلْكِي
وَأَنْتَ وَخَدَّكَ نِدِّي
شَقَرَاءُ يَا لَوْنِ حُسْنِ
مُحَبِّبٍ مُسْتَبِدِ
لَا وَسْطَهُمْ لَيْلَايَ فِيهِ
وَلَا مَلَامَ حُ هُنْدِي
وَلَا اسْتِمْرَارُ الْغَرِيرَاتِ
بِالْعَقِيْقِ قِي وَنَجْدِ
ظَمَّآنُ أَنْشُدْ وَرْدًا
وَعَنْدَ عَيْنَيْكَ وَرْدِي
يَا سَكْرَةً بَعْدَ صَحْوِي
وَفِتْنَةً بَعْدَ رُشْدِي

بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَرْبٌ
 وَهَوْلٌ أَخْذِي وَرْدٌ
 صِرَاعٌ رَوْحَيْنِ فِيهِ
 عُنْفٌ الْعَدُوِّ الْأَلَدُ
 الْحُبُّ لَا حُكْمٌ شُورَى
 لَكِنَّهُ حُكْمٌ قَرْدٌ
 فَهَيْثِي فَتْنَةُ الْحُسْنِ
 كُلَّهَا وَأَسْتَعِدِّي

جنيف (١٩٥٤/٥/١٢)

المعبد المسحور

يا حبيبي دعني أقبلُ خديك
وأششفُ ثغرك اللؤلؤيا
وتبذلِ للحُبِّ سُكْرًا وعُريًا
جسدًا فاتنا وروحًا غويًا
الهوى جنةٌ بقلبي والشهوةُ
نارٌ حمراءُ في شفتيَا
طاف بي طائفٌ من المعبدِ المسحور
يدعو فقالت النفسُ هيا
معبدٌ للهوى الأثيمِ بنينا
الفجرُ فيه والمشرقُ الذهبيا
حالمٌ فالزمانُ يرقبُ أمري
والمنى الحالياتُ طوعٌ يديا
صورتُ قُدرةَ الخيالِ من العسجدِ
والنورِ كأسِي الخزفيّا
رُبَّ حلمٍ تناقلتْهُ الليالي
والخيالاتُ فاستحالَ نبيّا

الحب والله

تَأْتِقَ الدَّوْحُ يُرْضِي بُلْبُلًا غَرْدًا
مَنْ جَنَّةَ اللَّهِ قَلْبَانَا جَنَاحَاهُ
يَطِيرُ مَا انْسَجَمَا حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَا
هَوَى. وَلَمْ تُغْنِ عَنِ يُسْرَاهُ يَمْنَاهُ
الْخَالِقَانِ مَعًا فَالْتَجِسْ أَيْكُهُمَا
وَسِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ وَالْحُبُّ: أَشْبَاهُ
أَسْمَى الْعِبَادَةِ رَبِّ لِي يَعَذِّبَنِي
بِلا رَجَاءٍ وَأَرْضَ ضَاهٍ وَأَهْوَاهُ
تَقَسَّمِ النَّاسُ دُنْيَاهُمْ وَفَتَّتْهَا
وَقَدْ تَفَرَّدَ مَنْ يَهْوَى بِدُنْيَاهُ
مَا فَارَقَ الرِّيُّ قَلْبًا أَنْتَ جَذْوَتُهُ
وَلَا النَّعِيمُ مُحِبًّا أَنْتَ بَلَوَاهُ
غَمَرْتُ قَلْبِي بِأَسْرَارِ مُعْطَرَةٍ
وَالْحُبُّ أَمْلَكُهُ لِلرُّوحِ أَخْفَاهُ
الْخَافِقَانِ - وَفَوْقَ الْعَقْلِ سِرَّهُمَا
كَلَاهُمَا لِلْغُيُوبِ: الْحُبُّ وَاللَّهُ
كَلَاهُمَا انْسَكَبَتْ فِيهِ سَرَائِرُنَا
وَمَا شَهِدْنَاهُ لَكُنَّا عَبْدُنَاهُ

حُمْنَا مَعَ الْعِطْرِ وَرَادًّا عَلَى شَفَةِ
فَلَمْ نَغَرُّ مِنْهُ لَكِنَّا أَغْرَنَاهُ
تَهَدَّلْتُ بِالْجَنَى الْمَغْسُولِ وَانْتَزَتُ
وَالثَّغَرُ أَمْلَأُهُ لِلثَّغَرِ أَشْهَاهُ
نَعْبُ مِنْهُ بِلا رَفَقٍ وَيُظْمِئُنَا
فَنَحْنُ أَصْدَى إِلَيْهِ مَا ارْتَشَفْنَاهُ
فِي مَقَلَّتِكَ سَمَاوَاتٌ يَهْدِيهَا
مِنْ أَشَقَرِ النُّورِ أَصْفَاهُ وَأَحْلَاهُ
قَلْبِي وَلِلشُّقْرِ الْمَغْنَجِ - لَهْفَتُهُ
لَيْتَ الْحَيْنِ الَّذِي أَضْنَاهُ أَفْنَاهُ
تُضَفِّرُ الْحُورُ غَارًا مِنْ مُوَاجِعِهِ
وَتَسْتَعِيرُ رُؤَاهَا مِنْ خَطَايَاهُ
لَمْ تَعْرِفِ الْحُورُ أَشْهَى مِنْ سُلَافَتِنَا
رَفَّ الْهَجِيرُ نَدَى لَمَّا سَسَقَيْنَاهُ
مُدْلَاهُ فَيْكَ، مَا فَجَرٌ وَنَجْمَتُهُ !
مَوْلَاهُ فَيْكَ، مَا قَيْسٌ وَلَيْلَاهُ !
أَنْتِ السَّرَابُ عَذَابٌ وَقَدْ وَرَدَى
وَتُوْنِسُ الْعَيْنِ أَفْيَاءٌ وَأَمْوَاهُ

أَتَسْأَلِينَ عَنِ الْخَمْسِينَ ؟

أَتَسْأَلِينَ عَنِ الْخَمْسِينَ مَا فَعَلْتُ ؟
يَبْلَى الشَّبَابُ وَلَا تَبْلَى سَجَايَاهُ
فِي الْقَلْبِ كَنْزُ شَبَابٍ لَا نَفَادَ لَهُ
يُعْطِي وَيَزِدُّ مَا ازْدَادَتْ عَطَايَاهُ
فَمَا انْطَوَى وَاحِدٌ مِنْ زَهْوِ صَبُوتِهِ
إِلَّا تَفَجَّرَ أَلْفٌ فِي حَنَائِيَاهُ
هَلْ فِي زَوَايَاهُ مِنْ رَاحِ الصَّبَا عَيْقُ
كُلِّ الرَّحِيقِ الْمُنْدَى فِي زَوَايَاهُ
يَبْقَى الشَّبَابُ نَدِيًّا فِي شِمَائِلِهِ
فَلَمْ يَشَبَّ قَلْبُهُ إِنْ شَابَ فُودَاهُ
تَزَيَّنَ الْوَرْدُ أَلْوَانًا لِيَفْتَنَّا
أَيُخْلَفُ الْوَرْدُ أَنَا مَا فَتَنَّا
صَادِي الْجَوَانِحِ فِي مَطْلُولِ أَيْكَتِهِ
فَمَا ارْتَوَى بِالْنَدَى حَتَّى قَطَفْنَاهُ
هَذَا السُّلَافُ أَدَامَ اللَّهُ سَكْرَتَهُ
مَنْ الشِّفَاهِ الْبَخِيلَاتِ اعْتَصَرْنَاهُ
جَلَّ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا
بِالشَّعْرِ أَصْفَى الْمُصَفَّى مِنْ مَزَايَاهُ

نحنُ الذينَ اصْطَفَانا منْ أَحَبَّتْهُ
فلَوْ تُدَارُ الطَّلَى كُنَّا نَدَامَاهُ
وشَرَّفَ اشُّعَرَ لَمَّا صَاغَهُ تَرْفًا
فكنتُ نَغْمَتَهُ النَّشْوَى وَمَعْنَاهُ
وراحَ يُشِيدُهَا عَصْمَاءُ شَفَةً
ومُقْلَسَةً وَجِئْنَا فاستَعَدُّنَاهُ
روحِي فِدَى وَثْنٍ مَا كَانَ أَفْقَرَنَا
إِلَيْهِ فِي عِزَّةِ النُّعْمَى وَأَغْنَاهُ
إِنْ كَانَ يَذْكُرُ أَوْ يَنْسَى فَلَا سَلَمَتُ
عَيْنِي وَلَا كَبِدِي إِنْ كُنْتُ أَنْسَاهُ
يَا مَنْ سَقَانَا كُؤُوسَ الْهَجَرِ مُثْرَعَةً
بَكَّى بِسَاطِ الْهُوَى لَمَّا طَوَيْنَاهُ

اللهب القدسي

طُفُولَةُ الرُّوحِ أَغْلَى مَا أُدِلُّ بِهِ
وَالْحُبُّ أَغْنَفُهُ عِنْدِي وَأَوْفَاهُ
قَلْبِي الَّذِي لَوَّنَ الدُّنْيَا بِجَذْوَتِهِ
أَحْلِي مِنْ النُّورِ نَعْمَاهُ وَيُوسَاهُ
مَا الْحُسْنُ إِلَّا لِبَيِّنَاتٍ مُنْمَقَةٍ
لَكِنْ يُؤَلِّهُهُ أَنَا عَشِيقُنَاهُ
آمَنْتُ بِاللَّهِبِ الْقُدْسِيِّ مُضْرَمِهِ
أَذْكِي الْأُلُوهَةَ فِينَا حِينَ أَذْكَاهُ
الْعَبَقْرِيَّاتُ وَهَجٌ مِنْ لُؤْفِ حُجَّةِ
وَالشَّمْسُ مَجْلُوءَةٌ إِخْدَى هِدَايَاهُ
وَتَائِهِينَ بِهَدْيٍ مِنْ عُقُولِهِمْ
لَوْ يَمُمُوا اللَّهَبَ الْقُدْسِيَّ مَا تَاهُوا
جَاءَ خَلْقُنَاهُ مِنْ أَلْوَانٍ قُدْرَتُنَا
فَكَيْفَ يَكْفُرُ فِينَا مَنْ خَلَقْنَاهُ
لَوْ رَفَّ حُبُّكَ فِي بَيْدَاءٍ لَاهِبَةٍ
عَلَى الظُّمَاءِ رَحِيقًا مَا وَرَدْنَاهُ
فِيَا لَكُنْزٍ شَكَّتْ مِنْهُ جَوَاهِرُهُ
وَضِياعٌ عَنْ نَفْسِهِ لَمَّا أَضَعْنَاهُ
صَحَا الْفُؤَادُ الَّذِي قَطَعْتَهُ مَزَقًا
حَرَى الْجِرَاحِ وَلَمَلَمْنَا بِقَايَاهُ

١٩٥٦/١٢/٨

هواجس

هَواجِسي فيكَ إيمانٌ وغَاليةٌ
وأنجُسمٌ وفراشٌ تَعْبُدُ اللَّهَ بِها
وسالِفاتٌ رُؤىٌ حينَ اشْتَهِيتُ لَنا
في البَيدِ خَيمَتَها السَمراءُ والكُثبا
هَواجِسٌ أنتِ دُنياها ومَعدنُها
فكيفَ تُبدِعُ إلا النورَ والطَربا
النازلاتُ على قَلبي ونِعمَتُه
حُورًا مِنَ الأفقِ القُدسيِّ لا رِيبا
المُترَفاتُ وأَخلاها وأَمَلَحُها
طَيفٌ مَعَ الفَجْرِ مِنْ أَهْدايِكَ انسَربا
روى لَنا عَنكَ ما نَدَى سَرائِرَنا
مِنَ المَني السُمرِ إنْ صَدَقّا وإنْ كَذَبا
تَصَوَّفَ القَلبُ تَدليلاً لَساكنه
فما شَكى عَنَتَ البَلوى ولا عَتَبَا
وَكيفَ يوحِشُ قَلبي مِنْ سُلَافَتِه
وقَد أدَرَتُ عَلَيهِ الحُبَّ والأدبَا
إذا تَمَنَّكَ قَلبٌ لا نُجومَ بِهِ
تَمَلِّمُ الفَلَكُ الغَيرانُ واضطَربَا

يُردُّ حُسْنُكَ أَهْوَاءَ النُّفُوسِ تَقَى
وَيَسْكُبُ الْخَيْرَ وَالْأَطْيَابَ وَالشُّهْبَا
كَأَنَّهُ الْكَعْبَةُ الزَّهْرَاءُ، مَا اجْتَرَحَتْ
مُنَى الْحَبِيجِ بِهَا إِثْمًا وَلَا لَعِبَا
غَيْبٌ لِحُبِّكَ مِنْ نُعْمَى الْيَقِينِ بِهِ
كَأَنِّي كَاشِفٌ عَنْ سِرِّهِ الْحُجُبَا
أَغْلَيْتُ نُعْمَى الْهَوَى عِنْدِي وَمَحْتَهُ
فَحَبٌّ مَا مَرَّ مِنْهُ حُبٌّ مَا عَذُّبَا

١٩٥٧/٤/٢٦

ظمأ إلى السراب

سَرَابٌ أَسْمَرُ الْقَسَمَاتِ هَانِ
نَدِيُّ اللَّمَحِ وَرَدِيُّ الْحَبَابِ
يُزَوِّقُ لِي الرِّمَالَ جَنَى وَظَلًا
وَيَغْمِزُ بِالْكُؤُوسِ وَبِالشَّرَابِ
وَقَطَّفَ مَا يُنُورُ مِنْ طُيُوفِ
عَلَى أَجْفَانٍ نَاهِيَةِ كَعَابِ
فِيَا نَعْمَى الْقُلُوبِ وَلَا أُدَارِي
وَيَا نَعْمَى الْعَيْسُونَ وَلَا أَحَابِي
سَرَابُكَ رَحْمَةٌ وَمُنَى حَسَانُ
سَيِّكِبْنَ طَيُوبَهُنَّ عَلَى عَذَابِي
سَقَى عَيْنِي مَتَارِفَهُ وَرَوَى
ظَمَاءَ الرَّمْلِ بِالنُّطْفِ الْعِذَابِ
بَكَيْتُ مِنَ السَّرَابِ فَحِينَ وَلَّى
وَأَوْحَدَنِي، بَكَيْتُ عَلَى السَّرَابِ
وَأَشُقَّانِي الْيَقِينَ فِيَا حَنِينِي
إِلَى الْخُدَعِ الْمُنْضَرَةِ السَّوَابِي
مَغْنَانٍ لِلْسَّرَابِ خَفِينِ إِلَّا
طُيُوفَ الْجَنِّ فِي الْوَهْجِ الْمُذَابِ

سَقَى اللهُ السَّرَابَ وفاءَ قلبي
وَعَطَّرَ سَرِيرَتِي وَصَبَا رِيَابِي
وَنَضَّ سِرَّهُ بِأَنَسْدِي مِنْ دَمْعِي
وَدَلَّلَنِي بِأَنْعَمٍ مِنْ عِتَابِي
بِمَا يَتَنَ الْجَوَانِحُ مِنْ حَنِينِ
مَلِجٍ فِي الشُّهُودِ وَفِي الْغِيَابِ
بِنَارٍ تَدُلُّهُي، بِرُؤْيَى جَنُونِي
بِإِيمَانِي بِحُبِّكَ، بَارْتِيَابِي
بَوَجْهِكَ وَهُوَ نُورٌ فِي صَلَاتِي
بِهَمْسِكَ وَهُوَ وَرْدٌ فِي كِتَابِي
بِعِزَّةِ لَوْعَتِي، بِحَيَاءِ حُزْنِي
بِسُكْرِي عِنْدَ لَمَحِكَ وَاضْطِرَابِي
بِأَنَسَاءِ الصَّبَاحِ مُنْمَنَاتِ
بِمَا سَكَبَ الرَّبِيعُ عَلَى الرَوَابِي
سَقَى اللهُ السَّرَابَ مُنَى بَرُوحِي
عَلَى الْحَرَمَانِ زَاخِرَةَ الْعُبَابِ
وَتَلِّمُ مَا أُسَبِّحُ مِنْ شِفَاهِ
وَتَرَشُّفُ مَا أَقْدُسُ مِنْ رُضَابِ
هَوَايَ سَجِيَّةً وَشَبَابَ قَلْبِ
وَجَلَّ صَبَا الْقُلُوبِ عَنِ التَّصَابِي

خَضَبْتُ بِلَوْنِ سُمْرَتِكَ الْمُصَفَّى
حَيَّاتِي وَالْمُحَبَّبَ مِنْ رِغَابِي
وَلَا مَكَّ عِنْدَنَا قَوْمٌ وَعَابُوا
يَجِلُّ النُّورُ عَنْ لَوْنٍ وَعَابِ
وَأَنْتِ النُّورُ فِي عَيْنِي وَقَلْبِي
عَلَى حَالِكَ مِنْ شَهْدٍ وَصَابِ
سَرِيرَتِكَ الضِّيَاءُ بِلا غُرُوبِ
وَعَيْنَاكَ الْغُيُوبُ بِلا حِجَابِ
وَقَفْتُ بِبَابِ جَاهِكَ مُطْمَئِنَّةً
كَأَنَّ الدَّهْرَ وَالْدُّنْيَا بِبَايِ

١٩٥٦/٣/١٠

السراب المظلم

حَنَا السَّرَابُ عَلَى قَلْبِي يُخَادِعُهُ
بِالْوَهْمِ مِنْ نَشْوَةِ السُّقْيَا وَيُغْرِيه
فَكَيْفَ رُحْتُ وَلِي عِلْمٌ بِبَاطِلِهِ
أَهْوَى السَّرَابِ وَأَرْجُوهُ وَأُغْلِيهِ
وَيَحِ السَّرَابِ عَلَى الصَّخْرَاءِ تُسَلِّمُهُ
رَمَالُهَا السُّمُرُ مِنْ تِيهِ إِلَى تِيهِ
يُزَوِّرُ الْمَاءَ لِلْسُّقْيَا وَلَهْفَتِهِ
حَرِّي إِلَى مَنَهْلٍ يَحْنُو فَيَسْقِيهِ
جَلَا النَّمِيرَ وَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُهُ
مِنَ النَّمِيرِ وَلَا ابْتَلَتْ مَآقِيهِ
أَيَّامُهُ خُدَعٌ لِلرَّكْبِ ضَبَاحِكُهُ
سُخْرَاءُ وَلِلْعَدَمِ الْقَاسِي لِيَالِيهِ
صَرَغَاهُ لَوْ عَرَفُوا الْأَسْرَارَ مَا جَزَعُوا
مِمَّا يُعَانُونَ بَلْ مِمَّا يُعَانِيهِ
أَلَّا يَمَلُّ السَّرَابُ الْغَمْرَ وَخُدَّتُهُ
أَلَّا يَحْنُ إِلَى نَعْمَى تُنَدِّيهِ
هَيْمَانُ لَهْفَانُ لَا مَأْوَى لَوْ خَشَتُهُ
قَلْبِي الَّذِي وَسِعَ الْأَكْوَانَ يُوْوِيهِ

أبكي لبلّواهُ تخنّاناً ومغفرةً
روحُ الألوهُةِ رُوحِي حينَ أبكيه
إذا خُذعتُ فقد جازيتُ خُدعتَه
بالعُذرِ أبسُطهُ والذنبِ أطويه
أدعو السرابَ إلى رُوحِي فقد حليتُ
بها اللّباناتُ تُرضيه وتُغويه
لَهفي عليه أسيراً في يَدَي قَدَر
يُميته كُلَّ يَوْمٍ ثُمَّ يُحييه
يغِيضُ قَبْلَ رَفيفِ الجَفْنِ زَاخره
أَقْلِبُهُ جَفَّ أَمْ جَفَّتْ سِوَاقيهِ
ماءٌ ولا رِيَّ يَنْدِي في شَمائِلِه
كَأَنَّهُ الْقَسْوَلُ فَاتَتْهُ مَعَانِيهِ
يُزَوِّقُ الحُسْنَ ألواناً وما عَصَفَتْ
بِروحِه سَوْرَةٌ لِلحُسْنِ تُصْبِيهِ
هَذي مَراعيه عَطْلٌ مِنْ بِشاشَتِها
حَنَنْتُ لَشَبَابَةِ الرّاعي مَراعيهِ
لو صَعَّدَ القَصَبُ الوُلْهانُ زَفَرَتَهُ
لَنَوَّرَتْ بِيدِهِ واخْضَلَ وادِيهِ
ما لِلسرابِ دَنّا حَتَّى إذا اكْتَحَلَتْ
بِسِخْرِ دُنْياهُ عَيْنِي شَطَّ دائِيهِ

أنتِ السرابُ ولكنِّي على ظمائي
بأنهَرِ الخمرِ في الفردوسِ أُنديه
مَحَوْتُ مِنْ قَلْبِي الدُّنْيَا فَمَا سَلَمْتُ
إِلَّا طَيْسُوفُ هَوَانَا وَخُدَهَا فِيهِ

النبع المسحور

رشيقة الأحزان والقيد هل
يَبُتُّ في جمر الغضا غصن بان
نزلت قلبي سيدة المتهى
ما أرز لبنان وما الغوطتان
وبيننا قربي الشذى للشذى
الحسن والشعر رضيعا لبان
ترشف من نهديك إغفاءتي
كأسين قد أترعتا بنت حان
طافت بك الكأس فرنحتها
وجن لنا شمك الزعفران
نبع الصبا المسحور^(١) يشتهه
قلبي والسمراء والفرقدان
نشته حتى ثمالاته
فنحن لا نفنى ويفنى الزمان
نشته حتى يعود الصبا
واللمة السوداء والعنقوان

١ - إشارة إلى ما ورد في الأساطير عن وجود نبع يكفل للشارب منه خلود الشباب.

والنَّيْعُ وَالْقُبَّةُ فِي هِدَاةٍ
 يَسْرِعُ دَهْرٌ وَهَمَا وَانِيَانُ
 مَا هَزَّتِ الدُّنْيَا أَنْتَاهُمَا
 فَتُغْرِبُ الدُّنْيَا وَلَا يَدْهَشَانُ
 وَلَوْحَتْ مِنْ بَعْضِ أَفْيَاتِنَا
 كَفَّانَ بِالْحَنَاءِ مَخْضُوبَتَانُ
 حَضَنْتُ فِي السَّمَرَاءِ دُنْيَا الْمُنَى
 حِينَ التَّقِينَا كَبَّرَ الْعَالَمَانُ
 جُزْنَا حُدُودَ الْكَوْنِ، لَا مَشْرِقَانُ
 فِي جَلْوَةِ النُّورِ، وَلَا مَغْرِبَانُ
 جُزْنَا حُدُودَ الْكَوْنِ، حَتَّى التَّقَى
 كُلُّ مَغِيبٍ عِنْدَنَا بِالْعِيَانُ
 وَعَادَ لِلْأَنْجُمِ مَا ضَاعَ مِنْ
 أَضْوَائِهَا وَاعْتَقَ الْأَزْهَرَانُ
 وَاخْتَصَرَ الدُّنْيَا شَذَا مُسْكِرُ
 أَوْ لَهْفَةً عِذَاءً أَوْ قُبْلَتَانُ
 بَحْتُ بِأَسْرَارِي فَعُوبُوا الشَّيْذَى
 فَضَّيْتُ عَنِ الرَّاحِ الْعَتِيقِ الدِّينَانُ
 مَا غَابَ عَنْ أَغْرَاسِنَا أَهْلُنَا
 الشَّمْسُ وَالْأَنْجُمُ فِي الْمَهْرَجَانُ

والنَّاسُ لَا تُعْرِفُ أَحْزَانَنَا
يَرِثُنِي لَنَا الشُّوقُ وَيَبْكِي الْحَنَانُ
يَرْفَعُنِي الْمَوْجُ إِلَى شَاهِقِ
وَحَطَّنِي.. لَا تَهْدَأُ الْكِفَّتَانُ
زَلَزَلَتِ الْأَمْوَاجُ زِلْزَالَهَا
وَاحْتَضَتْهَا دُجْنَةٌ مِنْ دُخَانِ
قَدْ رَجَّهَا الْعَاصِفُ حَتَّى طَغَى
لَوْلُؤُهَا طُوعَ يَدِي وَالْجُمَانُ
فَتَشُّتُ عَنْ خَوْفِي فَلَمْ أَلْفِهِ
كَيْفَ أَرَى الْخَوْفَ وَأَنْتِ الْأَمَانُ

صوفية*

قربنا الله ففوق الزمان
نحن مع النور وفوق المكان
يضيئ الظلمة إيماننا
ويسكر الفجر رحيق الأذان
نحن وقلوبنا وأسرارنا
شوق إلى الله وأغنيئنا
أوجهها أم بيته قبلتي
أسْتَغْفِرُ الله فلي قبلتنا
نريد جمرًا لبخور الهوى
في النار هذا الجمر لا في الجنان
صلاتنا نور فمن وهجها
شسع الضحى وأثلق النيران
من وردنا الأفلاك تسبيحة
والصبح والنجمة تكبيرتنا
تغمزني الشمس عناق الهوى
فلقني من فرعها خصلتنا
وجهي - ولم تخدع أساريه -
والقلب مرأتان مجلوتان

* من قصيدة (النبع المسحور).

كُتِبْتُ (بِسْمِ اللَّهِ) فَالطَّرْسُ مِنْ
عَدْنٍ (وَبِسْمِ اللَّهِ) حُورِيَّتَانِ
لَمْ يَعْتَنِ عُسْرٌ وَلَا شِدَّةٌ
اللَّهُ وَالسَّمَرَاءُ لِي الْمُسْتَعَانُ
عَرِيتُ فَقْرِي عِنْدَ بَايَيْهِمَا
وَتَعَذُّبُ الشَّكْوَى وَيَخْلُو الْهَوَانُ

١٩٦٢/١٢/١٢

جسد*

بُرْدُكَ فَوْقَ الْخَصْرِ جَارُ الرُّؤْيِ
 فَخَلَفَهُ تَطْفِيرُ جَنِّيَّتَانِ
 شَيْطَانَتَانِ اصْطَفَتَا جَنَّةً
 قَدْ تَوْنَسُ الْجَنَّةُ شَيْطَانَتَانِ
 دَارَتْ عَلَى الظَّمَايِ حُمَيَاهُمَا
 فَاللَّهُوُ فِي الْجَنَّةِ طَلَقُ الْعِنَانِ
 يُدْنِيهِمَا الشُّوقُ وَلَمْ تَدْنُيَا
 فَهَلْ هُمَا نَهْدَانِ أَمْ نَجْمَتَانِ
 تَمْوِجُ الْحَانِ الصَّبَا فِيهِمَا
 كَأَنَّمَا نَهْدَاكِ أَغْرُودَتَانِ
 عُشَّانِ لَا لِلطَّيْرِ بَلْ لِلْهَوَى
 عُشَّانِ، بَلْ لِلْمِسْكِ قَارُورَتَانِ
 عَيْنَاكِ بَحْرٌ حِينَ أَغْفَى انْحَنَتْ
 فَلَمَلَمْتَ أَحْلَامُهُ الضَّفَّتَانِ
 تَغْفُو بِعَيْنَيْكِ طَيُوفُ الْمُنَى
 عَيْنَاكِ لِلْأَشْوَاقِ أَرْجُوحَتَانِ
 تَضْحَكُ عَيْنَاكِ وَإِنْ جَدَدْنَا
 لَا سِحْرَ فِي عَيْنَيْنِ لَا تَضْحَكَانِ

* من قصيدة (النبع المسحور).

تَنْطِقُ عَيْنَاكَ وَلَمْ تَنْطِقِي
وَقَدْ تَطِيلَانِ وَقَدْ تُوجِرَانِ
وَلَمْ تَضِيْقَا بِمَعَانِي الْهَوَى
أَلَا تَلُومَانِ أَلَا تَعْتَبَانِ
قَلْبِي وَقَرطَاكِ حَلِيفَا ضَنِّي
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَتَعَبَ الْخَافِقَانِ
وَحَصَلَتَانِ ارْتَاحَتَا فِي يَدِي
مَنْ الدُّجَى الْمُخْمُورِ مَسْكُوبَتَانِ
شَذَاهُمَا بَاقٍ وَإِنْ غَابَتَا
كَأَنَّمَا فَرَعَاكِ رِيحَانَتَانِ
تَغَامِزِينَ الْبَدْرَ فِي مَوْعِدِ
فَغَرَّتْ لَمَّا التَّقَتِ الْغَمُزَتَانِ
قَدْ بَاحَ جَفْنَاكِ بِسِرِّ الدُّجَى
جَفْنَاكِ مِنْ سِرِّ الدُّجَى مُثْرَعَانِ

أيها المعرض عني

أيها المعرض عني ما الذي رابك مني
أنت حلّو في الرضى السّمح وحلّو في التّجني
دع يقيني - وهبوا الجمهر - إلى أفياء ظني
لي كنوز الحبّ، يستغنني بهما قلبي ويغني
والمني ضاعت فهبني منك نعماء التّمني
تعدّل الدنيا طيوف علقّت منك بجفني
وأنا البلبّل في الأيك وفي الأسر يغني
تعرّف الإحسان أن أضفي على دنياي حسني
قد جلاّني الله من نعماء إشراقه يمن
أنا والأنجم أغفينا على مهّد وحضن
وابتدعنا ألف دنيا وخلقنا ألف فن
أنا والأنجم لا نفنى على الدهر... ونفني
أنا إن أدن من الله فإنّ الشوق يدني
ناعس النور نمانى والأعاصير نمشي
بظمّ العقول فأستقي العقول أسطورة جن
لم يضق حبي بمما ألقاه من حقود وغبن
أنزل الأثام أضيقا على جنة عدني

خالقة

من نِعَمَاتِكَ لي ألفٌ مُنَوَّعةٌ
وكلُّ واحدةٍ دُنْيَا من النورِ
رَفَعَتَنِي بِجَنَاحِي قُدْرَةً وَهَوًى
لِعَالَمٍ من رُؤْي عَيْنِكَ مَسْحُورُ
تَعَبٌ من حُسْنِهِ عَيْنِي فَإِنْ سَكَّرْتَ
أَغَفْتُ عَلَى سُنْدُسِيٍّ من أساطيرِ
أَخَادِعِ النُّومِ إِشْفَاقًا عَلَى حُلُمِ
حَانَ عَلَى الشَّفَةِ اللَّمِيَاءِ مَخْمُورِ
وَزَارَ طَيْفُكَ أَجْفَانِي فَعَطَّرَهَا
يَا لِلطِّيُوفِ الْغَرِيرَاتِ الْمَعَاطِيرِ
كَأَنَّ هَمْسَكَ فِي رِيَاءٍ وَشَوْشَةً
دَارَ النَّسِيمِ بِهَاسَا بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ
تَنَدَّى الْبَرَاءَةُ فِيهِ فَهُوَ مُنْسَكَبٌ
مِنْ لَغْوِ طِفْلِ وَمِنْ تَغْرِيدِ عَصْفُورِ
رَشَفْتُ صَوْتَكَ فِي قَلْبِي مُعْتَقَّةً
لَمْ تُغْتَصِرْ وَضِيَاءٌ غَيْرَ مَنْظُورِ
خَلَقْتَنِي مِنْ صَبَابَاتِ مُدْلَهَةِ
ظَمَأَى الْحَنِينِ إِلَى دَلٍّ وَتَغْرِيرِ

أَلَفْتُ نَفْسِي عَلَى مَا صُنْتُ جَوْهَرَهَا
يَا غُرْبَتِي عِنْدَ تَحْوِيرِي وَتَغْيِيرِي !
يَا طِفْلَةَ الرُّوحِ: حَبَّاتُ الْقُلُوبِ فِدَى
ذَنْبِ لِحُسْنِكَ عِنْدَ اللَّهِ مَغْفُورِ
يَا نَجْمَةً تَخْتَفِي حِينًا وَتُشْرِقُ لِي
حِينًا أَفَانِينَ تَعْرِيفٍ وَتَنْكِيرِ
لَقَدْ هَجَرْتُ أَخَاكَ الْفَجَرَ وَانْتَبَهْتُ
شَمْسُ الصَّبَاحِ عَلَى أَنَّاتِ مُهْجُورِ
مَنْ مَوْطِنِ النُّورِ هَذَا الْحُسْنُ أَعْرِفُهُ
حُلُوَ الشَّمَائِلِ قُدْسِي الْأَسَارِيرِ
عِنْدِي كَنْزٌ حَنَانٍ لَا نَفَادَ لَهَا
أَنْهَبْتُهَا كُلَّ مَظْلُومٍ وَمَقْهُورِ

سَيَذْكُرْنِي

سَيَذْكُرْنِي بَعْدَ الْفِرَاقِ أَحِبَّتَنِي
وَيَبْقَى مِنَ الْمَرْءِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وَرُودُ الرَّبِيِّ بَعْدَ الرَّبِيعِ بِعَيْدَةٍ
وَيُذْنِكَ مِنْهَا فِي قَوَارِيرِهِ الْعَطْرُ

١٩٧٨

البواكير

(من الديوان الأول ١٩٢٥)

الشاعر والبؤس

خُلِقَ الشاعرُ والبؤسُ معاً
فهما خلانٍ لم يفترقا

أنا في الكونِ شقيٌّ حائرٌ
لا أرى نوراً ولا أهدى سبيلاً
أنا طيرٌ لم يغرّد فاسمعوها
بالدجى منه نواحاً وعويلاً
أنا إنسانٌ غريبٌ أمره
شرب السمِّ وعاف السلسبيل
أنا روحٌ حرةٌ طائفةٌ
رضيتُ بين الدارِ والمقيلا

أنشقي أزهارَ شعري غضةً
إنني ألقىتها بين يديك
حرتُ في الحبِّ إلى أنْ لاح لي
سره محتجباً في ناظريك
هذه الموجةُ فرتُ بعدما
قبلتُ بالسِرِّ إحدى قدميك

إنّ في نهديك طيباً عبقاً
أنشقي الشاعرَ هذا العبقاً
واذكري الشاعرَ والبؤسَ معاً
فهما خالان لم يفترقا

١٩٢١

حياة أسير القيد لفظ بلا معنى

أُتْعِنِي وما أجدى الحسامُ ولا أَعْنِي
قوافٍ من الأشعارِ تبقى ولا تَفْنِي
أَدْرْتُ على الأسماعِ منها سَلَفَةً
وأَرْضَيْتُ فيها اللهَ والعربَ والفنَّا
سَأَبَعْتُ من شعري جِياذاً مغيرةً
عليها كِماةٌ تُحَسِّنُ الضربَ والطعنا
هل الشعرُ إلا بِسِمةٍ تَمْنَحُ الفتى
هنا المني أو دَمْعَةً تَبْعَثُ الحزنا
يَظُنُّونَ أَنَّ الشعرَ وَزَنٌ وَطالما
قَرَأْتُ من الأشعارِ ما خَلَفَ الوزنا
ومن الشعرِ - أَصْفَى الشعرِ - بَيْتٌ مَنِمُّمٌ
تَسِيرُ الصَّبَا فيه لَتَشِدَّه الغصنا
ومن الشعرِ - أَحلى الشعرِ - ثَغْرٌ مُقْبِلٌ
رَشِيفٌ به السُلُوى ولم أَحْرِ ما المَنَّا
وفي عَيْنِ سَلَمَى قد تَلَوْتُ قَصِيدَةً
من الشعرِ لم تَتْرِكْ لَضَرَّاتِها حُسْنًا
وللشعرِ آيٌ في النُهوْدِ قَرَأْتُها
وفي الشِّفَةِ اللَّمِيَاءِ والمَقْلَةِ الوُسْنَا
نَأَيْتُ عن الفِيحَاءِ - لا عن مَلالَةٍ -
وَحِيداً وَدَمْعِي يَوْمَ فَرَقْتِها مِثْنِي

فَلَلَّهِ مَغْنَى الْغَوَاطِثِ وَلَا سَقَاتُ
 عَلَى الْبُعِيدِ إِلَّا أَدْمَعِي ذَلِكَ الْمَغْنَى
 فَيَا وَارِدِي مَاءَ الشَّامِ رَوَيْتُمْ
 فَلَلَّسَهُ مَا أَصْفَى وَلَلَّهِ مَا أَهْنَى
 وَيَا نَاطِرِي غَيْدَ الشَّامِ نَعِمْتُمْ
 فَلَلَّسَهُ مَا أَبْهَى وَلَلَّهِ مَا أَسْنَى
 يَرِيدُونَ هَذَا الْبَعْدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 فَلَا نَعْمُوا بِالْأُولا صَحَبُوا يَمْنًا
 هُمْ حَجَبُوا عَنَّا نَسِيمَ حِمَاكُمْ
 وَهُمْ نَقَلُوا زُورَ الْحَدِيثِ لَكُمْ عَنَّا
 لئن خَانَ عَهْدَ الْغَوَاطِثِ عَصَابَةٌ
 رَأَوْا يَتَّعَهُمْ رِيحًا وَأَلْفِيتُهُ غَبْنًا
 فِي الْجَبَلِ النَّائِي لِعَصْبَةِ جَلَقِ
 مِنَ الْقَوْمِ خَذَنٌ لَمْ يَخْنُ فِي الْهَوَى خِذْنًا
 أَدِيرِي عَلَيَّ الْكَأْسَ صَرْفًا وَعَلَّيْ
 فَتَاكَ فَقَدْ أَفْنَى الْهَوَى مِنْهُ مَا أَفْنَى
 وَغْنِي عَلَى لَحْنِ الشَّبَابِ فَإِنِّي
 لِأَعْشَقَ هَذَا الشَّعْرَ وَالنَّايَ وَاللَّحْنَ
 لئن أَطْفِئْتُ يَا مِي نِيرَانُ يَعْزِيبُ
 هَوَانًا، فَإِنَّا سَوْفَ نَضْرُمُهَا إِنَّا

ماك سوينى

ماك سوينى محافظ مدينة كورك الأيرلندية ، اعتقله الإنكليز فأضرب

عن الطعام احتجاجاً على طغيانهم حتى مات

أحَقُّ ما روتُ عنك الرواةُ
تُرى أم في حديثهم هُناتُ
غلبتِ المِوتَ فيه وذاك أمرٌ
ستكبرهُ القرونُ الآتياتُ
بسطتَ يديكَ بسطةً أريحى
فكانتُ من عطاياكَ الحياةُ

١٩٢١

أَيُّ أَمْرٍ سَاءَ هَا

إِنِّي اسْتَمَعْتُ مِنْ الْكَوَاكِبِ فِي الدَّجَى لِأَلَاءِ هَا
وَمِنَ الْغَزَالَةِ وَهِيَ تَرْكَعُ فِي السَّمَاءِ ضِيَاءَ هَا
وَمِنَ الْحَمَائِمْ فِي الْفَصَصِ نَوَاحِهَا وَغَنَاءَ هَا
وَأَخَذْتُ مِنْ نُجْلِ الْعَيُونِ فَتَوَرَّهَا وَصَفَاءَ هَا
وَمِنَ الْخُمَائِلِ حِينَ بَاكَرَهَا الْحَيَا صَهْبَاءَ هَا
وَسَرَقْتُ مِنْ لَعَسِ الشَّفَفَاءِ عَلَى الْهَوَى أَنْدَاءَ هَا
وَمِنَ السُّورُودِ عُبَيْرَهَا وَمِنَ الْعُقُودِ سِنَاءَ هَا
لَأَصْوَغَ مِنْهَا حَلِيَّةً وَقَفْتُ عَلَيْكَ رُوءَاءَ هَا

وَاحْسَرْتَاهُ فَإِنِّي
لَمْ أَسْتَطِعْ إِرْضَاءَ هَا

أَعْلَمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ
حَرُّ الْبَيَانِ طَلِيقُهُ
هَذَا قَوْلُهُ وَذَا
يَسَاقُوتُهُ وَعَنْقِيْقُهُ
فَتَقْبَلِيْهَهَا وَاسْمِعِي
شِعْرًا يُدَارُ رَحِيْقُهُ

مى فى وطنها

عن زيارة مى زيادة إلى الأرز وبعليك ودمشق

يا أرز لبنان وقد أقبلتُ
مى وسربُ الغنائياتِ المِلاحُ
أما قرأتَ الحِـبِّ في سورة
حطتُ على تلك الوجوه الصِّباحُ

يا بردي الشام وقد أقبلتُ
مى الفتاةُ الغادةُ الشاعرةُ
لا تنكرِ الشوقَ فقد صفقتُ
من وجدها أمواهك الطاهرةُ

يا بعليكُ ابتسمي إنها
مى وسربُ الغنائياتِ الدمى
واستقبلي الوحيَ فوحي النهى
سلّم في السربِ الذي سلّمَا

يا ميُّ والأرزاقُ مقسومةٌ
 سبَّحانَ من قسَمَها في الأنامِ
 من مصرَ لَبَّيتِ نداءَ الهوى
 فزرتِ لبنانَ وزرتِ الشَّامَ
 قَبْرُ التَّوخي^(١) الطَّهَّورُ الثَّرى
 ما ضرَّه لو حيَّيته بالسَّلامِ
 ما أحوجَ القَبْرَ إلى دَمعة
 من جَفْنِ ميٍّ لا جَفونَ الغَمَامِ
 فابكي على القَبْرِ الذي ضَيَّعتِ
 أمجادَه الفرقَةَ والانقسامَ

١٩٢١

١ - الأمير التتوخي : أمير اللاذقية الذي رثاه المتنبي .

وذرنى حتى أحيى الصباحا

شبح الموت: ما يخيفُ البرايا
من حتوفِ تعانقُ الأرواحا؟
ذاك مصباحُ صبوتي وشبابي
فتعجلْ وأطفئ المصباحا

١٩٢١

يا شاعر التاج

وجهها إلى جميل صدقي الزهاوي في زيارته لدمشق ١٩٢٢

يا شاعر التاج المضي
على جبين أغر فاتح
طيب العراق وإنه
للمسك من برديك فائح
نخ ما تشاء على العراق فإنني بالشام نائح
رويت بأكناف العراق
وجلق ظمأى الصحاح
أهوى العراق وإن تكن
طاحت بسؤده الطوائح
وأحب جنات العراق
وطيبها غياذ ورائح
وعيون آرام الفسرات
على شواطئه سوارح
مرضى صحائح والقريض صنيعه المرضى الصحائح
حدث فقد طاب الحديث ونام عن نجواك كاشح
ومسيطر ينهى ويأمر في الجزيرة باسم ناصح
باسم الحضارة جاء يزرع ما يشاء من الفصائح

لا تبطر الأممُ القويةُ فالعواقبُ بالفواتيحُ
وهو الزمبانُ سوانحُ
تمضي فتخلفُها بسوارحُ
ولربما شمسَ الذلولُ
فراحَ يأرنُ وهو جامحُ

نغمات عودي

نغماتُ عودي لا تُملُّ لأنها
شعرٌ يفيضُ عواطفًا وشعورا
نغماتُ عودي لا تُملُّ لأنها
لغةُ الملائكِ إذ تناجي الحُورا

١٩٢١

لبنان والغوطة

في تكريم شاعر القطرين خليل مطران - ١٩٢٢

لبنانُ والغوطةُ الخضراءُ ضمَّهما
ما شئتُ من أدبٍ عالٍ ومن نسبٍ
ما في اتحادهما تالله من عجبٍ
هذا الفراقُ لعمرى منتهى العجبِ
للخُلفِ في الناسِ أنواعٌ وأغريبها
خلفُ الشقيقين من قومي بلا سببِ
كلُّ الربوعِ ربوعُ العربِ لي وطنٌ
ما بين مبتعدٍ منها ومقتربِ
غنيتُ قومي بالأشعارِ أطربهم
لا يسمعُ القومُ شذوَّ الشاعرِ الطربِ
وأحزنُ الشعرِ بيتٌ راح ينشده
دمعٌ تحدرُ من أجفانٍ مكتئبِ
خيرُ القصائدِ ما أوحته عاطفةُ
فسارٍ في كلِّ دنيا غيرِ مغتربِ
وللطبيعةِ شعرٌ راح يسكرني
فهلَّ جرتُ في قوافيه ابنةُ العنبِ
قرأتهُ في النجومِ الزهرِ عن كُتبِ
وفي صفاءِ العيونِ النجلِ عن كُتبِ
لأرحلنَّ فلي في الأرضِ متسعٌ
إن ضاق بي صدرُ هذا الموطنِ الرحبِ

نشوة اليأس

شاعرَ الحزن أين من سحره شاعرُ الهناء
إن لليأسِ نشوةً ضلَّ عن مثَلِها الرجاءُ
* *

ما أنا الشاعِرُ الذي
وشِيئُهُ بِسُمِّهِ الرِّيعُ
شاعِراً كنتُ عندما
كان في مقلتيه دموعُ

١٩٢١

الروح الثائرة

أملتُ ضجيجَ الحياة ففرتُ
تريدُ الحياة بظلِ السكون
فتذكرُ عالمَ قدسٍ نمتُ
بِهِ حرةً بينَ حورٍ وعينٍ
هيولى تفيضُ ضياءً مُبيناً
طليقاً تراهُ جميعُ العيونِ

عذرتك فرّيتُ من الأرضِ وابغيتُ
هناكَ المقامَ الرفيعَ الكريمُ
بقربِ النجومِ فإنَّ الحياةَ
معطّرةُ الدنّ بينَ النجومِ
ولا ترحمني الجسمُ فهو ترابٌ
يعسودُ لمعدنه بعدَ حينٍ

غداً هو بينَ الربى زهرةٌ
كسّتها الطبيعةُ لونَ الشروقِ
فحيناً تُقبلُ نهداً وحيناً
تُقبلُ خدّاً بلونِ الشفقِ

فيا روح من بين تلك النجوم
أطلي عليها ولا تنكريني

أطلي عليها رفيقاً قديماً
وقولي سلاماً تردُّ السلام
أنكرت شكلاً جديداً لجسم
غدا لك قبل الفناء مقام
تلاشيت في هذه الكائنات

ولم يتسلاش إليك حنيني

١٩٢١

يا نديمي

لا تملّ بي إلى الرجاء فقد
أودى بنفسي طموحها والرجاء
يا نديمي لا تأس بالله واشرب
لذة العيش هذه الصهباء
يا نديمي تعزّ واسلّ فقبلاً
قد عفت بعد أهلها الحمراء
يا نديمي إليّ نبكي فقد يسعد
قلب النائي الحزين البكاء
إنما الحزن مرسل الشعر شعراً
والحزاني هم هم الشعراء

١٩٢٣

لا تحبينى

لا تحبينى ففي حبي الشقاءُ يا فتاةُ
واطردينى تطردى عنك البلاءُ في الحياةُ

من ثيرِ الدمعِ ذا الشعرُ النظيمُ فاقرايه
رنّةُ الثكلى وأناةُ السليمِ فاسمعيه
ها هو البؤسُ بشخصي مائلٌ فالمسيه

تلك الأقانيم الثلاثة

في رثاء المنفلوطي والأوسى

المجمع العلمي في دمشق - ١٩٢٤

الليلُ بعدَ الراحلينَ يطولُ
أو ما لصبيغك يا ظلامُ نصولُ
يطوي الزمانُ النابغيينَ فتنتطوي
لذهابهم أممٌ ويهلكُ جيلُ
قبرٌ بعاصمةِ الرشيدِ وآخرُ
في مصرَ حقٌ ستورهِ التقبيلُ
بدرانٍ قد بكرَ الأفولُ عليهمَا
ولكيلٍ بدرٍ مشرقٌ وأفولُ
بغدادُ شاكيةٌ ومصرُ مُرنةٌ
والشامُ حاسرةٌ القنّاعِ كلولُ
تلك الأقانيمُ الثلاثةُ واحدُ
بردي الشّامِ ودجلةٌ والنيلُ
قالوا: السياسةُ قلتُ رَغْمَ دُهايتها
ظلُّ العُروبةِ في الربوعِ ظليلُ
هذا هو الحقُّ الصّراحُ فحسبكم
قولُ السياسةِ كُلُّبهُ تدجيلُ

ولقد جرعتُ من السياسة إنها
غولٌ وهل تلدُ السلامة غولٌ
دينُ السياسة جاء فيه مبشراً
بالمشرقين: الجيشُ والأسطولُ
قولوا لمن غصبَ القويُّ حقوقَه
السيفُ باستردادهنَّ كفيلٌ

على أطلال الجزيرة العربية

عَفَتِ الدِّيارُ وأنْكَرَتْ قُصَّادَها
حَيَّا الحيا تلك الدِّيارَ وجادَها
تلك الدِّموعُ قَصيدةٌ قد جَوَّدَتْ
عَيْنُكَ يَوْمَ فراقِهِمُ إنْشاَدَها
من أَنَّةِ الثَّكلى أَخَذَتْ رويَها
ومن القلوبِ قد اسْتَعَرَتْ مدادَها
جاءَتْ مَهْدَبَةُ القوافي ما اشْتَكَتْ
إِيطاءَها وزحافَها وسنادَها
الحزنُ أَرْسَلُها ووقَّعَ لَحْنُها
واختارَ في شُوطِ القريضِ جِياَدَها
غراءُ هذَّبَها وأَحْكَمَ صَنعَها
صَنَعَ البَيَّانُ فأتَعَبَتْ نَقادَها
الشَّعرُ ما مَلَكَ النفوسَ وهزَّها
وأثارَ ثائرها الكَمينَ وقادَها
تتلو الطَّبِيعَةُ في الصِّباحِ قِصائِدًا
بِذَّتْ بَهَنَ لَبِيدَها وزِياَدَها
يا نَفْحَةً حَمَلْتُ إِلَيَّ مِنَ الرِّبى
غَبَ الرِّيحِ شَقيقَها وزُبادَها

أُمِّي الجزيرةَ واسرقي من غيـلِـها
بردَ الثَّغـورِ على الصَّبـبا وبرادِها
يا لَلعواصمِ خُطـةً مغزوةً
ملكَ الغريبِ بياضَها وسوادِها
الدهرُ فـلَّ سـيوفَها هنديةً
بيضاً وحطـمَ بالقراعِ صِعادِها
يا عصبـةَ الأممِ القويـةَ حاذري
بأسَ الضـعافِ وحزَمَها وكبادِها
هللتُ للنشـءِ الجـديـدِ وقد مشى
يُصَلِّي الحياةَ وحربَها وجهادِها
تلكَ المـهـارُ ولا أكابدُ لوعـةً
إنْ مُدَّ في عمري شـهـدتُ طرادِها

١٩٢٤

طمع الأقوياء

لا تلمُّهُ إذا أحبَّ الشَّامَا
طابت الشَّامُ مريعاً ومقاما
بردى والورود في ضفتيه
مصغياتٌ لشعره والخزامى
هات حدثٌ عن الشَّام وحدثٌ
وأطل في الحديث عنها الكلاما
من أغاني طيورها ساجعات
قد تعلَّمت هذه الأنعاما
ليت شعري وللسياسة دينٌ
يرسل النار حجةً والحساما
أيعبدون قتلَ شعبٍ حلالاً
ويعبدون قتلَ فردٍ حراماً؟
أرهبونا ما شئتم واذلمونا
وامنعونا حتى الكرى والطعاما
واملاؤا هذه السججونَ إلى أنْ
تشكو من ضيوفها الازدحاماً

ثم سوموا السجودَ تيهًا وكبراً
إذ تمرون: شيخنا والغلاما
لا أخالُ الأرواحَ تكسرُ قيدَ الأسرِ
إن لم تعذبوا الأجساما
يفتكُ الظلمُ بالضعيفِ ويردى
بعد حينٍ بشؤمِهِ الظلاما

١٩٢٤

أهوى الشام

أُقيمت في قاعة المجمع العلمي بدمشق - ١٩٢٤

قف بالشام مسائلاً آثارها
مرحى لمن أمّ الشام وزارها
أفدي مهففة القوام أسيرة
تشكو القيود فمن يفك إزارها
لا تكذب الأمم القوية إنها
باسم الحضارة ثقت خطارها
مرحى لناشئة الشام ومرحباً
بالنشء إن عثرت أقال عشارها
بردى أدار عليكم صهباءه
وجلّت عرائسه لكم نوارها

فترقبوا الغارات من أيتامها

خلّوا الشّامَ وداميات كلامها
لا تهتكوا الأستارَ عن آلامها
ولقد أرادَ بها القويُّ تحكُّمًا
فتمرّتْ أنفًا على حكامِها
ورأيُها ظمأى الجوانحَ للعلّى
فعلى الدمِ المهرّاقِ بلُ أوامِها
يا ابنَ الشّامِ وما نظمتُ قصائدي
إلا لهزّ عراقيها وشامِها
تشدو الحمائمُ في الشّامِ وإنما
أنغام هذا الشعرِ من أنغامِها
من ليس يمنعُ حقّه في حربها
هيهاتَ يمنعُ حقّه بسلامِها
هيهاتَ تنخذلُ الشّامُ وقد بدا
أثرُ القراعِ على شبا صمصامِها
ووراءَ حقِ الغسوطتين عصيّةُ
أسادُ غابيتها شמושُ ظلامِها
إنْ تقتلوا آباءَها بسيوفكم
فترقبوا الغاراتِ من أيتامِها

١٩٢٣

حياة الشباب

ألقيت في جمعية الشباب العربي في مدرسة اللايك الفرنسية

بيروت - ١٩٢٤

غَضُّ الشَّبَابِ وإنْ تَلَنَ عَذْبَاتُهُ
خُلِقَتْ لإدراكِ المنى عِزَمَاتُهُ
نَفَحَاتُ لِبْنَانِ الْأَشْمِ عَلَيْهِ
وَحِمَى الْجَزِيرَةِ عَذْبَةُ نَفَحَاتِهِ
وَاضِيغَةُ الْوَطَنِ الصَّغِيرِ تَعَدَّدَتْ
أَدْيَانُهُ وَعُرُوشُهُ وَلَفَاتُهُ
هَذَا أَسِيرُكَ يَا مَذَاهِبَ مَلَّةٍ
عِضُّ الْقَيْسُودِ، أَلَمْ يَتْنِ إِفْلَاتُهُ؟
إِنِّي عَبَدْتُ اللَّهَ، لَا نِيرَانُهُ
سِرُّ التَّقَى عِنْدِي وَلَا جَنَاتُهُ
وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَيْهِ لَا قِرَائَتُهُ
فِي آيِهِ الْكَبْرَى وَلَا تَوَرَّاتُهُ
الَّذِينَ دِينَ الْحُبِّ فَهُوَ عَقِيدَتِي
وَلَوْ أَنَّهُ فِي الشَّرْقِ قَلَّ دَعَاتُهُ

والأفقُ أقرأهُ كتاباً منزلاً
نعم الكتابُ نجومُهُ آياته
بيتُ العروبةِ حينَ أسجدُ قبلتي
لا طوره قصدي ولا عرفاته
من بعضِ أسماءِ العروبةِ أرزه
يومَ الفخارِ ونيْلُهُ وفرائه
كالروضِ ملتفٍ الخمائلِ ناضراً
ما ضره لو نُوعتْ زهراؤه

حسبي إذا ذُكرَ القريضُ وأهله
شعرُ شبابِ الغوطتين رواه
سكروا وقد أنشدتُ غرَّ قصائدي
فهي الرحيقُ طهوره رشقاته
لا تتركوا المرأةَ غيرَ صقيلة
الشعبُ روحُ شبابِهِ مرأته

تعالوا نعدّ الصيد

أقيت في قاعة المجمع العلمي بدمشق ١٩٢٤/٥/٣١

أهذي مغناني جِلَق والمِعالِمُ
لَكَ الخَيْرُ أم هل أنتَ وِسنانُ حالِمُ؟
هنا عرشُ أقمارِ العُلَى من أُمَيَّة
هنا ارتكزتُ سُمُرُ العوالي اللهادِمُ
بني الغربِ هاتوا شاهداً عند زعمِكُم
بغيرِ دليلٍ لا تقومُ المزاعمُ
تعالوا نعدّ الصيدَ منا ومنكم
ففي الناسِ مقبولُ الحكومةِ عالِمُ
إذا ظلَّ مجدُّ العربِ في الشامِ سالماً
فمجدُّ بني قحطانَ في الشرقِ سالمُ
سلاماً عروسَ المشرقين ولا مشتُ
بظلِ مغانيكِ الخطوبِ الغواشمُ
خذي قلدي ما شئتِ جيداً ومغصماً
من اللؤلؤِ الرطبِ الذي أنا ناظمُ

شعاع العيون

دمعةٌ من لحاظٍ هيفاءَ خُودٍ
تخلقُ العطفَ في قلوبِ القساسةِ
بسمَةٌ في الحياةِ من شفّتيها
تبعثُ النورَ في ظلامِ الحياةِ
لمسةٌ من بنانِها وهو رخصٌ
بردٌ تلكَ الجوانحِ الظامِثاتِ
نفحةٌ من نهودِها سرٌّ ما
تنشقُ بينَ الربى من النفحاتِ
هي سرُّ الحياةِ، أنشودةُ الله
شِفَاءُ الداءِ العَصِيِّ الكَمِينِ

١٩٢٤

مراجع تتعلق بالشاعر وشعره :

- ١- بدوي الجبل : شاعر العربية والعرب، أكرم جميل قنيس.
 - ٢- بدوي الجبل: حياته العاصفة وحبه الذي لا يفنى، عدنان الخطيب.
 - ٣- الشعراء الأعلام في سوريا، سامي الدهان.
 - ٤- شعراء سورية المعاصرون، سامي الكيالي.
 - ٥- بدوي الجبل حياته وشعره، محمد الخطيب.
 - ٦- شعراء سورية، أحمد الجندي.
 - ٧- عشت مع هؤلاء، عبد الله يوركي حلاق.
 - ٨- يحدثونك عن أنفسهم، هاني الخير.
 - ٩- بدوي الجبل، مدحت عكاش.
 - ١٠- المراحل، عبد الرحمن الكيالي.
 - ١١- جريدة دولة العلويين الرسمية.
 - ١٢- تاريخ الثورة العلوية، عبد اللطيف اليونس.
 - ١٣- وادي الدموع، محمد عباس.
 - ١٤- الجريدة الرسمية للجمهورية السورية.
 - ١٥- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.
- إضافة إلى ما ذكرنا في الهوامش من الكتب والدوريات، ونشير إلى أن مدحت عكاش قد ذكر في كتابه منذ عام ١٩٦٨ أنه سمع عن أطروحة جامعية تُحضر في مصر عن بدوي الجبل وشعره، وأخرى في باريس، وثالثة في دمشق.

الفهرس

صفحة	الموضوع
٥	المقدمة
	المتخبات
٣٥	الكعبة الزهراء
٤٠	ابتهالات
٤٢	تحنو الدموع على القبور
٤٣	بحيرة جنيف
٤٥	تراب الشام
٤٦	متى الإياب ؟
٤٧	إني لأشمت بالجبار
٥١	يعطي الشهيد فلا والله ما شهدت
٥٢	اللاذقية
٥٣	عيد الجلاء ١٩٤٦
٥٥	بدعة الذل
٥٦	أنا أبكي لكل قيد
٥٧	يا وزيراً يطلّ بعد وزير
٥٨	جلّونا الفاتحين
٥٩	نمّ بقلبي
٦٠	سكّر الشعر من سلافي
٦٢	يا وحشة الثأر
٦٣	تبارك الشعر
٦٤	يا خالق القلب
٦٥	كافور

صفحة	الموضوع
٦٧	فرعون
٦٨	الشعر والشاعر
٧٠	البلبل الغريب
٧١	هبيني حزناً لم يمرّ بمهجة
٧٣	أرى طيفك المعسول
٧٤	ويا رب من أجل الطفولة وحدها
٧٦	يسقى الله عند اللاذقية شاطئاً
٧٨	أتدري الربى أن السماوات سافرت ؟
٨٠	عاد الغريب
٨٣	الطاغية
٨٥	هشتُ إليّ قبور
٨٦	حنين الغريب
٨٨	وشعر كآفاق السماء
٨٩	العقل
٩٠	وهيها مني في البحيرة دُمر
٩٥	من وحي الهزيمة
١٠٢	مصرع الشمس
١٠٤	هذه دجلة
١٠٦	آلام
١٠٧	من كسعد ؟
١٠٨	أين أين الرعيل من أهل بدر ؟
١١٠	غربة الروح
١١١	سر الضحى
١١٢	وفاء القبور
١١٣	خلع الحياة على البلى

الموضوع	صفحة
دموع كعفو الله	١١٥
للشعر والشمس هذا الكون	١١٦
تعانقت مريم فيه وأمنة	١١٧
شكل الأمومة	١١٨
الهائنون بسلم	١١٩
إيه حكيم الدهر	١٢٠
أطل من حرم الرؤيا فغزاني	١٢٢
جنان لبنان	١٢٥
ما شأن هذا الأشعث الجواب ؟	١٢٧
ليلة عريانة	١٢٩
الحقيقة	١٣٠
حيرة النفس	١٣٢
وانجلت نفسي في النور	١٣٤
فلسفة الحقيقة	١٣٦
الدمية المحطمة	١٣٩
الكعبة السمراء	١٤٠
العذراء الخائنة	١٤١
فطال عليك الليل	١٤٢
شقراء	١٤٣
المعبد المسحور	١٤٧
الحب والله	١٤٨
أتسألين عن الخمسين	١٥٠
اللهب القدسي	١٥٢
هواجس	١٥٣
ظمأ إلى السراب	١٥٥

صفحة	الموضوع
١٥٨	السراب المظلم
١٦١	النبع المسحور
١٦٤	صوفية
١٦٦	جسد
١٦٨	أيها المعرض عني
١٦٩	خالقة
١٧١	سيذكرني
البواكير	
١٧٥	الشاعر والبؤس
١٧٧	حياة أسير القيد لفظاً بلا معنى
١٧٩	ماك بسويني
١٨٠	أي أمر ساءها
١٨١	مي في وطنها
١٨٣	وذرنني حتى أحيي الصباحا
١٨٤	يا شاعر التاج
١٨٦	نغمات عودي
١٨٧	لبنان والغوطتان
١٨٨	نشوة اليأس
١٨٩	الروح الثائرة
١٩١	يا نديمي
١٩٢	لا تحبيني
١٩٣	تلك الأقانيم الثلاثة
١٩٥	على أطلال الجزيرة العربية
١٩٧	طمع الأقوياء
١٩٩	أهوى الشام

الموضوع	صفحة
فترقبوا الغارات من أيتامها	٢٠٠
تحية الشباب	٢٠١
تعالوا نعدّ الصيد	٢٠٣
شعاع العيون	٢٠٤
مراجع تتعلق بالشاعر وبشعره	٢٠٥
الفهرس	٢٠٧

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٦٩٧ / ٢٠٠٢

إيه يا سعدُ زادكَ اللهُ سعداً
قَبْلَ مصرَ وقَبْلَ بُعْدِكَ عنها
زادها النيلُ بهجةً وجمالاً
وظباءٍ مِثْلِ الملائكِ طُهرًا
إيه شوقي يا ساجعَ النيلِ غرَّدْ
ذُبْلَ الرنْدُ والأقحاحُ فأنعشْ
إِنْ تَجَرَّ يا نيلُ بعدَ اليومِ فاجرِ دماً
ماذا دها مصرُ حتى رِيضُ جانحِها
ويلي بمصرَ على شعبٍ إذا فغرتْ
أبناءَ مصرَ يفي مصرًا وتربها
يا سعدُ يا سعدُ والأقدارُ غامضةٌ
ويل السياسةِ ما أوهى مودتها

ابن ما شئتَ للكنانةِ مجداً
ما عرفنا المحبَّ يَحْمَدُ بُعْداً
وحباها فيها سلاماً وبرداً
ما هوتْ غيرَ مصرَ قبلاً وبعداً
وامنحَ النيلُ من مغاتيك عقداً
بأغاني الهوى أقحاحاً ورنداً
على رُبي مصرَ وابكِ التاجَ والعلماءَ
وما دها شعبها المظلومَ فانقسما ؟
له المظالمُ فاهاً ظلٌ مبتسماً
قطرٌ يسيلُ على الأرجاءِ مشجماً
والله سعدُك ما ولَّى وما انهزما
تقضى فلا موثقاً ترفع